البعد التداولي للزمن في شعر أبي العلاء المعري

ديوان سقط الزند أنموذجًا

إعداد

د/ وفاء بيومى قطب بيومى

مدرس الأدب والنقد، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر ، مصر

البعد التداولي للزمن في شعر أبي العلاء المعري ديوان سقط الزند أنموذجًا

وفاء بيومى قطب بيومى
قسم الأدب والنقد، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر ، مصر
البريد الالكتروني: wafaakotp.14@azhar.edu.eg

الملخص:
لا شك أن الزمن يمثل في طبيعته مجموعة من التحولات والتغيرات والتقلبات المستمرة التى تحدد علاقة الإنسان بالوجود، ويتشكل البعد التداولى للزمن من خلال مجموعة من الإشاريات التى تعكس طبيعة الذات الشاعرة فى حركتها وتفاعلها مع الوجود الكونى، فكلاهما يرتبط بسياق زمنى متصل، فذات الشاعر جزء من ذلك الوجود الكونى بتغيراته وتقلباته، والوجود الإنسانى بصفة عامة والذات الشاعرة بصفة خاصة يمثلان طرفي التواصل في الخطاب الشعري.
ومن هذا المنطلق تفتح هذه الدراسة مدخلًا جديدًا متصلًا بمحور الزمن ومؤثراته المتباينة فى الشعر العباسى من خلال دراسة ديوان سقط الزند لأبى العلاء المعري "٣٦٣هـ-٩٧٣م: ٤٤٩هـ-١٠٥٧م" الذي عاش أغلب حياته فى العصر العباسى الثانى، فوجود الزمن له قوة فاعلة ومؤثرة فى حياة الإنسان ووجدانه ولا سيما في حياة الشعراء بصفة خاصة، فالإنسان يعيش فى الزمن ويتصل وجوده بأفعال الزمن ومجرياته المتقلبة، وبهذا يرتبط وجدان الشاعر بطبيعة الزمن وفقًا لتجربته التى يعيشها فى ظل علاقته بالآخرين وموقفه من تلك العلاقة تجعله يعبر عن داخله النفسي في سياق الزمن.

الكلمات المفتاحية: الزمن، التداولية، أبو العلاء المعري، ديوان سقط الزند، الذات الشاعرة.

The deliberative dimension of time in the poetry of Abi Alaa Al-Maari Diwan of Saakt Al-Zind as a model

Wafaa Bayomi Kotb Bayomi
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls, Alexandria, Al-Azhar University, Egypt
Email wafaakotp.14@azhar.edu.eg

Abstract:
Time is undoubtedly a set of constant shifts, changes and fluctuations that determine man's relationship with the Universe. Deliberative dimension of time is shaped by a set of signals that reflect the poetic nature of oneself in its movement and interaction with the existence of the Universe. Both are related to a continuous temporal context. The poet's soul is part of that universal existence with its changes and ups and downs. The human existence in general and the poet soul in particular are the parties to the communication in the poetic discourse. From this point of view, this study presents a new point related to the period of time and its varied effects on Abbasid poetry through the study of the Diwan of Sakt Al-Zind of Abi Al- Alaa Almaari 363H-973: 449H - 1057M who lived most of his life in the Second Abbasid Era. Time has an active and influential force in human life and conscience, especially in the lives of poets. Human beings live in time and their existence relates to the actions of time and their processes. Emotion is linked to the nature of time according to his experience in his relationship with others and his attitude towards that relationship makes him express his psychological case in the context of time.

Keywords: Deliberative Time, Abu Al-Ala Almiri, Dewan Of Sakat Al-Zind, Poet Soul.

مقدمة:

يعد الزمن عنصرًا من عناصر تشكيل القصيدة العربية قديمًا وحديثًا، بما له من أثر في بيان فلسفة الشاعر ورؤيته للأحداث المحيطة، ولذلك كانت غاية البحث النظر في فضاء النص الشعري لا سيما البعد التداولي للزمن، وهذا يقوم على التعمق في السياق التداولي والكشف عن شفرات النص من خلال المعطيات التي تحملها الإشاريات الزمنية، وما يستدعيه من الفهم الصحيح للمعاني ودورها في التعبير عن مقاصد المتكلم من خلال التركيز على لغة الخطاب مع إلقاء الضوء على دور المتلقي في عملية التواصل، وبيان أثر الزمن، والظروف المحيطة بالشاعر.

وقد وقع الاختيار على تمثيل البعد التداولي للزمن في شعر "أبي العلاء المعري" بوصفه أحد شعراء العصر العباسي الذين يملكون مجموعة من المفردات والتراكيب اللغوية الفريدة، ما جعل لأسلوبه خصائص ميزته عن غيره، ومن المعروف أن وعي الباحثين بالرصيد المعرفي في أدب "المعري" تجسد في فلسفته وعزلته، ونرى اتجاه "المعري" للعزلة جعله ينشغل بالزمن، وهذا ما يدفع إلى البحث في علاقة الزمن بالشعر والحركة والحضور والعدم، متناولين تلك العلاقة من خلال نصوص "المعري" في ديوانه "سقط الزند" الذي يحمل شعر "المعري" خلال فترة شبابه، فجاء فيه بالكثير من المبالغة، وتقليد أستاذه "المتنبي" واستخدام معانيه، وعلى الرغم من مرور الزمن لازال النتاج الأدبي الذي تركه "أبو العلاء المعري" يثير فضول الباحثين والدارسين في الكشف عن خفايا المضامين التي تحتويها تلك النصوص والتي يتم تداولها في مختلف العصور، وصدق في قوله:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ ** لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائل[1].

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٠١م – ١٣١٩هـ، ص٤٣.

وجاءت مقولة "المعري" تعكس مكانته التي يراها بعين ثاقبة على المدى الزمني البعيد، وهذا ما يثير المتلقي ويدعوه للتأمل والتساؤل، هل رؤية "المعري" في فخره بذاته قائمة على براهين حقيقية ومستحقة، أم أنها جاءت على سبيل الدعاية الكاذبة، فقول "المعري" نابع من ثقة في النفس مبنية على إيمانه المطلق بقدراته التي دلل عليها حاضره وظل في المستقبل يراها القاصي والداني، فعلى الرغم من انقضاء زمن بعيد على رحيل "المعري" تظل نصوصه الشعرية التي سطرها مجالًا خصبًا للبحث والتقصي.

إشكالية البحث

١- التعرف على الدور التعبيري للزمن من خلال مفردات ديوان "سقط الزند".

٢- دلالات إدراك "المعري" لمفهوم الزمن بديوانه "سقط الزند".

٣- مدى ما يمنحه العنصر الزمني في تشكيل النص الشعري من خلال المفردات البصرية التي يصورها "المعري" في ديوانه "سقط الزند".

أهداف البحث

بيان التداولية والزمن ودراسة دلالات الزمن وتحولاته من خلال مختارات من ديوان "سقط الزند"، ومحاولة معرفة مدى إدراك "المعري" ورؤيته لعنصر الزمن والبحث والتحليل لمفرداته في النص الشعري.

أهمية البحث

١- إلقاء الضوء على مفهوم التداولية وعنصر الزمن وتأثيره في شعر "المعري".

٢- الإشارة إلى مفردات الزمن في السياق التداولي.

٣- التعرف على ما يثريه التراث الشعرى من لغة تواصلية تتيح للمتلقى فهم أعمق لمدلولاته.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتبع المنهج الوصفي التحليلي؛ لأن طبيعة الدراسة تتطلب الوصف لحركة الزمن، والوصف لا يتعارض مع الدراسة اللغوية التي اعتمدت فيها على المنهج التداولي الذي يركز على البنية اللغوية ذاتها وإظهار جمالياته في دراسة زمن الخطاب الشعري ومن ثم يتحقق التكامل والانسجام بين الدراسة اللغوية والدراسة الأدبية.

وقد احتوت الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، حيث جاء التمهيد لبيان التداولية والزمن، والمبحث الأوّل: أبي العلاء المعري وديوانه سقط الزند، المبحث الثاني: الزمن بين الوجود الكوني والذات الشاعرة، المبحث الثالث: الزمن وأثره في السياق النصي، وجاءت خاتمة البحث متضمنة أهم النتائج التي انتهت إليها القراءة التحليلية.

تمهيد:

فرضت التداولية نفسها على النطاق النقدي والأدبي، لتداخلها وترابطها مع جميع مستويات الخطابات، والتداولية مرتبطة بالعديد من العلوم الإنسانية، فنراها ممتدة في الفلسفة التحليلية، واللسانيات، وعلم الدلالة، وعلم الاتصال وعلم اللغة النفسي والاجتماعي وغيرها، وتهتم التداولية بدراسة اللغة في أثناء استخدام المقامات المختلفة، مع إلقاء الضوء على مقاصد المتكلم بوصفها ترتكز على التواصل والكشف عن الهدف من خطاب المتكلم في ظل الظروف والمقامات المختلفة، وتتحقق تداولية النص الشعري من خلال كشف الغموض اللغوي الذي قد نراه في النص حيث لا يتحقق التواصل مع ذلك النص بدون إزالة ذلك الغموض.

تتطرق التداولية كما يقدمها "فرنسيس جاك" إلى "اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معًا"[١]، والتداولية تتجاوز دراسة بنية اللغة إلى دراستها في سياق استعمالها، ومراعاة كل ما يحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلمين، فعندما نضع في الاعتبار "هوية المتكلم ومقصده، والوضعية التي هو عليها، نرى أن المعنى يتعدل ويتدفق ويغتني. من هنا نتجاوز المعنى الحرفي إلى معنى أكثر اكتمالية، يسمح بإمكانية تحديد الحقيقة"[٢]، والتداولية تستخدم "مفهومًا تجريديًا يدّل على الموقف التّواصلي هو السياق؛ فالتداولية إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة

(١) المقاربة التداولية/ فرانسواز أرمينيكو؛ ترجمة سعيد علوش، المغرب: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م، ص١٢.

(٢) السابق، ص١٦.

للملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به؛ أي العلاقة بين النص والسياق"[١].

وتهتم التداولية بطبيعة العلاقة بين النص الشعري وسياقه الذي يتحدد من خلال محاور التواصل المرتبطة به بصورة منظمة، وهذا ما يحيل إلى التعرف على مقتضيات القول التي تعتبر من وسائل التحليل وتتمثل في علامات التحديد الزمني من حيث زمن الإلقاء "الحكي"، وزمن وقوع الأحداث، وتهتم عملية الاتصال بدراسة القائل والمتلقي والقول أو الرسالة والوسيلة وأثر القول، ويقع في التداولية ضمن استعمال اللغة والقصد، وميزت التداولية بين معنيين في كل ملفوظ أو كل فعل تواصلي لفظي: الأول القصد الإخباري أو معنى الجملة، القصد التواصلي أو معنى المتكلم في ضوء السياق.[٢]

فالتداولية "تتجاوز البنية الخطابية السطحية إلى تقنية التواصل والسياق والقصد، وتدرس كيفية إنتاج المتكلم فعلًا تواصليًا أو فعلًا كلاميًا في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد وفهمه أو تفسيره، وهنا يتجلى أثر نظرية الاتصال في دراسة طرفي التواصل وقناته وسياقه"[٣]، بذلك ترتبط التداولية بمفهوم السياق ويقصد به "الوضعية الملموسة التي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان وهوية المتكلمين وكل ما نحن في

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص/ صلاح فضل، ط١، القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠٤م، ص٣١.

(٢) النظرية البرامجاتية اللسانية (التداولية): دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادىء/ محمود عكاشة، ط١/ القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٣، ص٨٥.

(٣) السابق، ص٢١.

حاجة إليه، من أجل فهم وتقييم ما يقال، وهكذا ندرك مقدار أهمية السياق"[١]

ويعد النص الشعرى فعلًا تواصليًا، يعتمد على عمليات التلقي، ونظام التواصل والتفاعل، وهذا يضع في الاعتبار كل "الأبعاد الدلالية والتداولية المكونة للنص، الذي لا يتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلي، وفي إطار هذه العلاقة يتم الربط بين النص وسياقه التداولي"[٢]، وهذا يستدعي حضور شروط متعددة تصاحب الفعل الشعري ذات وظيفة تداولية تمكن القارئ من محاصرة المعنى النصي ليعيد بناءه من جديد وهو يمارس فعل القراءة خاصة في اللحظة التي يبدأ فيها النص يحدث وقعًا جماليًا خاصًا وأثرًا يبنى مع القراءة التي تفتح بدورها الطريق أمام القارئ لاضاءة عتماته"[٣].

وهذا يعني أنه لا يمكن بحال من الأحوال تصور النص الشعري بدون متكلم "شاعر"، ومتلق "قارئ"، فكلاهما يمثل أساس التواصل، فلا وجود للنص الشعري بدون الشاعر ولا جدوى من النص الشعري بدون قارئ يتفاعل مع ذلك النص، وهو "تفاعل ضمني مستمر وممتد عبر الزمن، ولتحقيق انسجام النص –الخطاب الشعري– لابد من استحضار العناصر الأخرى المكملة لسياقه التواصلي زمانًا ومكانًا ومقامًا"[٤]، والتداولية لا تهتم بالنص باعتباره بنية لغوية تحتوي على ألفاظ وجمل فقط، وإنما ينشغل

(١) المقاربة التداولية/ فرانسواز أرمينيكو؛ ترجمة سعيد علوش، ص٦.

(٢) السياق والنص الشعرى من البنية إلى القراءة/ على آيت أوشان، ط١، المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص٧٨.

(٣) السياق والنص الشعرى من البنية إلى القراءة/ على آيت أوشان، ص١٣٦.

(٤) السابق، ص١٣٧.

الدرس التداولي بالنص على اعتبار أنه "بنية لغوية أنتجها متكلم أو مبدع معين، بقصدية معينة، وفي موقف كلامي محدد، وفي زمان ومكان محددين ولمتلقي معين"(١).

بذلك يقع الزمن ضمن الإشارات التداولية، فالإشاريات الزمانية هى التي "تحيل إلى زمن أحداث الخطاب والزمن نوعان: زمن نحوي وزمن كوني خارجي، والنحوي زمن الجملة، والكوني يرتبط بالظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي، مثل: الظروف، وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديره في العالم الخارجى"(٢)، وعندما يصبح الزمن جزءًا من الصورة الشعرية فإنه يصبح زمنًا شعريًا، فالشاعر لا يعبر عن الوجود الموضوعي للزمن، بل يُعبر عن تجربته مع الزمن من خلال الألفة والانفعال به، وما ينشأ من هذه الألفة من ذكريات سارة أو محزنة، ومن ثم يصبح الوجود النفسي للزمن، والمتمثل في الشعر موضوعًا خاصًا يتوازي مع الوجود الموضوعي له(٣).

وعند اللساني "بنفنست" رؤية جيدة للبعد التداولي للزمن كما في اللغة والخطاب، حيث "يتعلق الزمن اللساني، الذي نجد له خصوصية في ارتباطه العضوي بممارسة الكلام، إذ يتحدد وينتظم كوظيفة للخطاب، فالزمن له مركزه – مركز توليدي ومحوري معًا– في حاضر لغة الكلام ولا تتموضع لحظات الزمن إذن في اللغة بحسب وضعها الخاص بل تأتي كوجهات نظر

(١) تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي/ محروس محمد إبراهيم علي، مجلة علوم اللغة، مج ١٠، ع١، ٢٠٠٧م، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) النظرية البرامجاتية اللسانية (التداولية): دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادىء/ محمود عكاشة، ص٨٠.

(٣) الزمن في شعر السياب/ عبد الرحيم الكردي، ع١٦، مجلة سرديات، القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات السردية، سبتمبر ٢٠١٥م، ص١٨ بتصرف.

خلفية أو أمامية فقط انطلاقًا من الحاضر"[١]، ويعد الزمن من أدوات بناء العمل الفني ولا سيما الشعر، ذلك "إن اللغة حقًا أداة زمانية، لأنها لا تعدو أن تكون مجموعة من الأصوات المقطعة إلى مقاطع تمثل تتابعًا زمانيًا لحركات وسكنات في نظام اصطلح الناس على أن يجعلوا له دلالات بذاتها. وبهذا المعنى تكون اللغة الدالة تشكيلًا معينًا لمجموعة المقاطع أو الحركات والسكنات خلال الزمن، أو هي في الحقيقة تشكيل للزمن تشكيلًا يجعل له دلالة معينة"[٢].

والتداولية هي"العلم الذي يختص بتحليل أفعال الكلام، كما يختص بصفة عامة بتحليل وظائف الملفوظات اللغوية والخصائص التي تتمتع بها في عملية الاتصال، وبتعبير أكثر اختصارًا، فإن التداولية تختص بدراسة العلاقات بين النص والسياق"[٣]، وأن كل عمل شعري يعني "تواصلا بين المبدع والمتلقي، والتواصل يبدأ بتوصيل رسالة من نوع خاص ذات محتوى متصل بالقيم، يوجهها المبدع إلى المتلقي من خلال وسيط نوعي هو القصيدة"[٤]، وهذا ما يجعل هناك ترابطًا بين التداولية ونظرية التلقي، فالمعنى الأدبي يحيا ويتغير داخل تراث متعدد لا ينقطع، فالمعنى الذي نعطيه لكل حدث قراءة لعمل ما يتأثر تأثرًا مباشرًا بتعدد أمثلة التلقي الفورية والسابقة. فلكل عصر قراءته الخاصة وكذلك كل فرد، وبالتالي ينبغي تبني

(١) المقاربة التداولية/ فرانسواز أرمينيكو؛ ترجمة سعيد علوش، ص٤٧.

(٢) التفسير النفسي للأدب/ عز الدين اسماعيل، ط٤، القاهرة: مكتبة غريب، [١٩٩٠م]، ص٤٧.

(٣) الخطاب والقارئ: نظرية التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة/ حامد حامد يوسف أبو أحمد، القاهرة: النسر الذهبي، [د.ت]، ص١٤٠-١٤١.

(٤) مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي/ جابر عصفور، ط١، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠٣م، ص٢٣٢.

وجهة النظر التداولية القرائية في تكوين معنى النصوص ونسبتها مفهوميًا وجماليًا، وهذا البعد التداولي للقراءة يمكن أن يغير بصفة قوية تصورنا للأدب(١).

ومع التشتت الذي عاشه الإنسان العربي على الصعيد السياسي في أواخر الدولة العباسية، نجد طبيعة الصراع والتناقض دفعت مفكري هذا العصر من الشعراء والمتكلمين والفلاسفة إلى الاهتمام بالزمن وعمق الإحساس والشعور به، فمع "التحولات التاريخية التي تجسدت في القرن الرابع، كان لابد أن تنعكس على فكرة الزمن، وتبدو وكأنها مشكلة تحظى باهتمام المفكرين على اختلاف أصنافهم من علماء وفلاسفة وأدباء ومتكلمين"(٢)، ولا سيما الشعراء في شكوى الزمن والتوقف أمامه والتأمل فيه، بوصف الشعر انعكاسًا لتجارب نفسية وذاتية مرتبطة بأحداث الزمن.

(١) الخطاب والقارئ: نظرية التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة/ حامد حامد يوسف أبو أحمد، ص٥٠-٥١.

(٢) الزمان في الفكر الإسلامي: "ابن سينا، الرازي الطبيب، المعري"/ إبراهيم العاتي، ط١، بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م، ص١٢.

المبحث الأول: أبي العلاء المعري وديوانه سقط الزند.

أولا: المعري حياته ونشأته.

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء التنوخي المعري من شعراء العصر العباسي الثانى، ولد يوم الجمعة ربيع الأول عام ٣٦٣هـ-٩٧٣م بمعرة النعمان(١) وقد "أصيب بالجدري فى عمر الرابعة وذهب ببصره فقضى عليه بأول محبسيه، فانعزل مرغمًا عن سائر اللذات، وقضى باقى حياته يضيف إليه أحباسًا وسلاسلًا وقيودًا، وكان أكبر ما يميزه الاعتزاز بالنفس كشأن سائر أسرته"(٢)، وقال: "لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، فإنني أُلبست في مرض الجدري ثوبًا مصبوغًا بالعصفر، فأنا لا أعقل غير ذلك، وكل ما أذكره من الألوان فى شعري ونثري إنما هو تقليد الغير، واستعارة منه"(٣)، وقد رحل إلى "بغداد" ولكنه لم يوفق فى رحلته ولم تطل إقامته في "بغداد"، فعاد إلى بلده فى المعرة عازفًا عن الاختلاط بالناس، فقد غلب العزوف على طبعه فابتعد عن التملق والمدح الهادف إلى التكسب والشهرة، زاهدًا فى كل ملذات الحياة، وقد كان شديد الحرص فى تعامله مع الناس بسبب عاهة العمى الذي أصابه، وهذا ما جعله بعيدًا عن الانسجام مع أهل عصره ولا سيما الخلفاء والأمراء(٤).

---

(١) الحياة الأدبية في العصر العباسي/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة، ١٩٥٤م، ص٢٧٧.

(٢) سقط الزند لأبي العلاء المعري/ أحمد إبراهيم الشريف، مجلة تراث الإنسانية، مج٢، ع١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤م، ص٥٨.

(٣) اِنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة . ج١/ الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م، ص٨٤.

(٤) النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين/ سناء خضر، ط١، الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص١٤.

وشهدت أيام حكم "سيف الدولة" حروب مستمرة ومتواصلة، وعرف عصره بالسخاء على الأدباء والعلماء، ما جعله يكثر في جمع المال من الرعية، ولما مات خلفه ابنه "أبو المعالى" ثم ابنه "أبو الفضائل"، وصارت إمارة "حلب" يوم نشأ "المعري" معتركًا للحمدانيين والفاطميين والروم، فقد شهد زمان "أبى العلاء المعري" فسادًا فى الحياة السياسية والتى تمثلت فى الإمارة الحمدانية التى شهدت اضطرابات فى الأحوال الداخلية ومع ضغط الروم وغاراتهم، وأطماع الفاطميين وفتنهم، كانت إمارة "حلب والمعرة" تعانى فى ظل تناحر الحكام وسعيهم للسلطة، حتى استقوى بعضهم بالروم في طمعهم وتنافسهم على الحكم(١).

وفى مثل تلك الظروف المضطربة وبالنظر إلى الأحوال السياسية التى نشأ فيها "المعري" نجدها شهدت على الكثير من الاضطراب والفتن والأهوال، ولا شك أن ذلك شديد التأثير في أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية، فانتشر الفساد وبرزت روح التكالب على المال والإمارة والذعر بين الناس والغرائز الهدامة من ظلم وغدر وبخل(٢)، ما دفع "المعري" إلى مهاجمة الفساد الاجتماعى وانتقاد العصر الذي يعيش فيه، حتى كان شعره في ديوان "سقط الزند" متأثرًا بالحياة السياسية والاجتماعية المضطربة.

إن الإبداع الذي خلفه "المعري" يكشف عن أنه قضى حياته يعانى محنة وجوده، ويشعر بالغربة، وينشد الموت، فقد تجاوز "المعري" في شعره التخوم التقليدية للشعر العربى إلى التأمل المتصل فى مصير الكون، وهموم الإنسان الفكرية، والنفسية، وعلاقته بذاته، وبالآخرين، وبالحياة والموت وما بعد الموت(٣)، وهذا ما يؤكد أن "المعري" هو "أول شاعر ميتافيزيائى فى تراثنا الشعري، من حيث أنه مأخوذ بالعودة إلى حضن الأم "الأرض"، مأخوذ

(١) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي/ أنيس المقدسي، ط١٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م، ص٣٨٩.

(٢) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي/ أنيس المقدسي، ص٣٩٠.

(٣) النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين/ سناء خضر، ص٥٤.

بالمطلق: بالزمن، والموت، والفناء، والأبدية"[١]، ما جعل "المعري" يسلك اتجاهًا أدبيًا وفلسفيًا يتناول مصير الإنسان، فهو شاعر ولكنه يختلف عن الشعراء، فى كون شعره ترجمة صادقة للواقع الذي يعيشه، فيطيل البحث في ظواهر العالم بطريقة عقلية ويسلك في شعره أساليب أدبية متنوعة.

ثانيًا) ديوان سقط الزند:

وهو من أشهر كتب "المعري" وأكثرها تداولًا بين الباحثين وقد احتفل "أبو العلاء المعري" بديوانه في شرحه له في كتاب خاص اسماه "ضوء السقط" وهو لم يشرح جميع "سقط الزند" وقد أملى شرحه على تلميذه "أبى عبد الله الأصبهانى" إلى الدرعيات[٢]، ويمثل شعر "المعري" فى ديوان "سقط الزند" نتاجه فى سن الشباب وأيام قوته، ومنها قصائد نظمها أيام عزلته فى منزله بمعرة النعمان، وقد اسماه بسقط الزند تشبيها بالشرر الذي يتطاير من الزند وفي هذا الديوان أغلب موضوعات الشعر المعروفة ما عدا الهجاء والعبث والمجون والخمر والغزل، وهي أغراض كانت شائعة في عصره[٣]، وهذا ما يوضح أن "المعري" نظم ديوان "سقط الزند" جاريًا فى سنن الأقدمين من الشعراء، فنراه يكثر من وصف النياق والرحيل والأحبة[٤]، وبذلك نرى أن "المعري" فى ديوانه سار على دروب الشعراء العرب فى إتقان الوصف وإجادة النظم، وما نراه فى "سقط الزند" يعكس مدى معاناة "المعري" فى فترة شبابه التي عاشها في محنة العمى والعزلة، حتى كانت أشعاره تعكس فلسفته وحقائق زمانه واضطراب نفسه بين ألم الماضي وغموض المستقبل.

(١) مقدمة للشعر العربي/ أدونيس، ط٣، بيروت: دار العودة، ١٩٧٩م، ص٦٢.

(٢) النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين/ سناء خضر، ص٢٤-٢٥.

(٣) الأدب العربي في العصر العباسي/ ناظم رشيد، العراق: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص ٢٨٥.

(٤) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي/ أنيس المقدسي، ص٤٠٢.

المبحث الثاني: الزمن بين الوجود الكوني والذات الشاعرة

يتشكل البعد التداولي للزمن من خلال الوجود الكوني والذات الشاعرة، فكلاهما يرتبط بسياق زمني متصل، فذات الشاعر جزء من ذلك الوجود الكوني بتغيراته وتقلباته، والوجود الإنساني بصفة عامة والذات الشاعرة بصفة خاصة يمثلان طرفى التواصل في الخطاب الشعري.

أولا) الزمن والوجود الكونى.

واقع الحياة التي يعيشها الإنسان مرتبطة بالوجود، ووجود الإنسان مرتبط ببقائه فى هذه الحياة، لذا تكون الصلة بين الزمن والوجود صلة وثيقة، ما يعنى أن "الوجود والزمن مترادفان، لأن الوجود هو الحياة، والحياة هى التغير، والتغير هو الحركة، والحركة هى الزمن، فلا وجود إذن إلا بالزمن"(١)، ويمكن القول بأن "ثمت وجودين منفصلين كل الانفصال من حيث الجوهر، وإن كانا متصلين من حيث الفعل، هما الوجود الذاتي، والوجود الفيزيائي، والوجود الذاتى هو وجود الإنسان، والآخر هو وجود الأشياء فى العالم الذي يوجد به الإنسان"(٢)، والوجود وجودان وجود الذات، ووجود الموضوع، ولكن الوجود الأصيل، بالنسبة إلى الإنسان على الأقل، هو وجود الذات(٣) ، ويمكن القول بأنه "لا وجود إلا بالزمان، والزمان سر التناهي، فكل وجود لفناء"(٤).

ويرتبط الزمن ارتباطًا وثيقًا بالواقع الذي نعيشه، وهذا الزمن يتطلب أن نمارسه ونفهم ما يدور به، لذا كان للعقل دور فى تشخيص الزمن ومحاكاته وإدراكه، والعقل ينشغل بصورة دائمة بالحركة، والحركة هي دليل الزمن،

---

(١) الزمان الدلالي: دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية/ كريم زكي حسام الدين، ط٢ مزيدة ومنقحة، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م ، ص٢٧.

(٢) الزمان الوجودي/ عبد الرحمن بدوي، ط٣، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣م، ص١٤٧.

(٣) السابق، ص١٤٨.

(٤) السابق، ص١٥٣.

فالحركة هي مصدر معرفي وإدراكي للزمن، والعقل هو الأداة التي عن طريقها نكتشف الزمن، وهذا يعني وجود تزاوج بين العقل والزمن[١]، وبذلك يكون الزمن من الأمور التى لا يمكن تجاوزها أو التخلى عنها، فهو حقيقة ضرورية وحتمية من المستحيل تجاهلها، "ليس لأنه يلعب دوره فى حياتنا نحن فحسب، بل لأن جميع الكائنات تعايشه دون استثناء، ولكن تختلف درجة إدراكه من كائن إلى آخر ومن فترة إلى أخرى"[٢]، ما يشير إلى أن الزمن يرتبط بمفهوم الحركة ارتبطًا وثيقًا، والحركة تظهر من خلال السرعة، ولقياس الزمن لابد من وجود وسيلة قياس متصلة بالجسم المتحرك عند القيام، ثم يقاس الزمن عند الوصول[٣].

والزمن فى السياق الدلالى الذي تحتفظ به اللغة العربية، هو "زمن مندمج فى الحدث، بمعنى أنه يتجدد بوقائع حياة الإنسان وظواهر الطبيعة وحوادثها وليس العكس، أنه نسبى حسي يتداخل مع الحدث مثله مثل المكان الذي يتداخل مع المتمكن فيه. وهذا الحدس الحسي المشخص للزمان والمكان والحدث راجع إلى بيئة العرب الذين جمعت منهم اللغة، بيئة البادية والصحراء، إن زمن الصحراء هو زمن الحل والترحال يتجدد بالحوادث والمشاهد والأمكنة وأنواع المعاناة فهو بمثابة مكان للحدث"[٤]، وبالتأمل في شعر "أبى العلاء المعري" نجد أن الوجود الإنسانى يشكل رؤيته للزمن، وذلك فى أنه عبر بمفردات تكشف عن موقفه وفلسفته التي تشير إلى طبيعة الوجود الملازمة للحركة، وذلك من خلال رسم العديد من الصور

(١) الزمان أبعاده وبنيته/ عبد اللطيف الصديقي، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص١٠٤ : ١٠٩.

(٢) السابق، ص١٣١.

(٣) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب/ إميل توفيق، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص٣٦-٣٧.

(٤) بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية/ محمد عابد الجابري، ط٩، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م، ص١٨٩.

الشعرية التي تعكس طبيعة الزمن المصاحبة لوجود الإنسان وحركته الدائمة في الأرض، حتى تداخل الشعور الإنساني مع مفردات الوجود التي نراها في عمق الحياة العربية القديمة بصحرائها وباديتها، وما نراه في السفر والترحال من دلائل الحركة على الأرض، فيقول "المعري":

أَعَنْ وَخْدِ الْقِلَاصِ كَشَفْتِ حَالَا وَمِنْ عِنْدِ الظَّلَامِ طَلَبْتِ مَالَا
وَدُرًّا خِلْتِ أَنْجُمَهُ عَلَيْهِ فَهَلَّا خِلْتِهِنَّ بِهِ ذُبَالَا
وَقُلْتِ الشَّمْسُ بِالْبَيْدَاءِ تِبْرٌ وَمِثْلُكِ مَنْ تَخَيَّلَ ثُمَّ خَالَا
وَفِي ذَوْبِ اللُّجَيْنِ طَمِعْتِ لَمَّا رَأَيْتِ سَرَابَهَا يَغْشَى الرِّمَالَا
رَمَاكِ اللهُ مِنْ نُوقٍ بِرُوقٍ مِنَ السَّنَوَاتِ تُثْكِلُكِ الْإِفَالَا[1]

فيشير المعنى إلى انكشاف الغطاء عن حال "وخد القلاص"[2]، وحثها على المثابرة فى السير لجلب الرزق، ثم أعاد الإنكار عليها فى الشطر الثاني من البيت في طلبها المال عند الظلام، على اعتبار أن الظلام ليس موضعًا لطلب المال، فالإنكار هنا توجه على وخد القلاص، وعلى الظلام، لا كشفِ الحال وطلب المال[3]، فجاء الاستفهام مصاحبًا للإنكار، وقوله كشفت حالا تشير إلى مخاطبة النفس، فالاستفهام هنا غرضه إنكار الفعل ورفضه، ويحتمل أن يكون الخطاب فى البيت للعاذلة، لأنها حثته على سرى الليل وتأويبه النهار طلبًا للغِنى، وظنًا منها أن نجوم الليل دُرّ، وشمس النهار ذهب، ويحتمل أن يكون الخطاب للناقة، بدليل قوله فيما بعد، "رماك الله من نوقٍ برُوق"[4].

---

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٧.

(٢) الوخد ضرب من السير سريع يقال وخدت الناقةُ تخِد وَخْدًا ووَخَدانا، والقلوص الناقة الفتية وهي اسم للانثى وهى جنس الابل كالفتاة من جنس الإنس والجمع قلاص .- شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٢٦.

(٣) السابق، ص٢٥-٢٦.

(٤) السابق، ص٢٧.

لقد أعطت حركية الزمن بعدًا فكريًا حيث تكشف الألفاظ عن المكونات الطبيعية المحددة للزمن من حيث الحركة الكامنة في ذهاب النهار وحضور الليل الذي معه تختفى معالم الحياة فيحل الظلام، وهنا يلعب العامل الزمنى دورًا فى تحديد المصير، فمع قدوم الليل لدى العامة قديمًا تتوقف المساعى الداعمة لطلب الرزق وجلب المال وطلبه، فتأتى الظواهر الزمنية المتجسدة فى جنوح الليل لتعلن إنكار السعى والجهد في الظلام، ويقول: **ولَوْ أنّ المَطِيّ لها عُقُولٌ وَجَدَّكِ لم نَشُدّ بها عقالا**

مُوَاصَلَةً بها رَحْلى كأنّى عن الدّنْيا أُريدُ بها انْفِصَالا[١]

فقد سعى إلى تمنى ما يستحيل تحققه فى "المطى"[٢] وسيلته التى تحمله فى سفره، فصار طموحه ورجاؤه فى سفره الذي يحتاج إلى مسافة زمنية يقطعها المسافر من مكان معلوم إلى مكان آخر معلوم حتى يصل إلى غايته المنشودة، وصار خياله بتجاوز الزمن وتمنى مواصلة الرحلة إلى أبعد مسافة زمنية ممكنة حتى أنه تخيلها تنقله عن الدنيا وما فيها، وهذا ما يعكس الانتقال من الحركة الطبيعة داخل فضاء المكان المحدود إلى فضاء أكثر اتساعًا يراه فى مكان خارج الدنيا وطبيعتها القاسية المجدبة، فكان الانتقال بالزمن من إطاره الطبيعى إلى صورة متخيلة تقفز فوق حدود المكان والزمان من خلال تقويض سلطته، ويقول:

متــى يُضْعِفْــكَ أيْنٌ أو مَــلالُ فليسَ عليكَ للزّمَن ابْتِهالُ

وحَبْلُ الشمس مُذ خلِقَتْ ضَعيفٌ وكـمْ فَنِيَتْ بقُـوّتِه حِبـالُ[٣]

وهنا يتبين طبيعة الزمن ومدى قوته التى لا غالب لها، فالبيت الثانى يوضح أن طبيعة الشمس الحارقة لا يقوى الإنسان على تحملها، وهنا

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٧.

(٢) جاء في شرح الخوارزمي: المطى والمطايا: جمع مطية، وسميت بذلك لأنها تمطو بأهلها في السير.- شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٤٠.

(٣) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص١٣٠.

يخضع الضعف الإنساني لسلطة الزمن الطاغية، فلا أحد يمكنه مغالبة الزمن وحركته الدائمة والمتجددة، ويقول:

إليكَ تَنَاهى كلُّ فَخْرٍ وسُؤدَدٍ فأبْلِ اللّيالي والأنامَ وجَدِّدِ
لجَدّكَ كان المَجْدُ ثمّ حَوَيْتُه ولابْنِكَ يُبْنَى منه أشرَفُ مَقْعدِ
ثلاثةُ أيّامٍ هيَ الدّهرُ كلّه وما هُنّ غيرَ الأمسِ واليومِ والغَدِ
وما البَدرُ إلاّ واحِدٌ غيرَ أنّه يَغِيبُ ويأتى بالضّياءِ المُجَدِّدِ(١)

يبدو من سياق القصيدة أنها موجهة إلى مدح أحد القادة العرب، ويعبر "المعري" فى تلك الأبيات عن انفعال وجدانى يرتكز حول دائرة الزمن اللامتناهية، فيخاطب ممدوحه بقوله "إليكَ تَنَاهى كلُّ فَخْرٍ وسُؤدَدٍ"، ويشير إلى أنه "انتهى إليك الفخر والسؤدد ثم لم يتجاوزاك، فبقيت حتى تُفنى الدهر وبنيه، وتستأنف غير هذا الدهر وذويه"(٢)، ما يعكس حركة الزمن التى ينتقل فيها الإنسان من حال إلى أحوال ومن ماض إلى حاضر، ويتجاوز الشاعر هذه الحركة الأفقية إلى دلالة ذاتية متشابكة تشير إلى تعاقب الأجيال التى يراها في صورة ممدوحه ومن كان في الماضي القريب الذي رأه فى أبائه وأجداده.

وجاء فى البيت الثالث بمبالغة فى تصوير سرعة دوران الزمن وتعاقبه؛ حيث يوضح معنى البيت أن "الدهر يدور على ثلاثة أيام لا يوجد غيرها، فكذلك المجد يدور عليك وعلى جدك وعلى ابنك، لا حظ فيه لغيركم"(٣)، فظاهر المضمون الشعري نراه يتهيأ فى مدح قوم من الناس يعتز بهم "المعري" لدرجة تجعله يندمج مع مضمون النص الشعري، أما عن شخصية الممدوح هنا، فهذا القصد موغل فى الإبهام، ولعل ما يثير المتلقى هنا هو تداول الزمن في صورة الأجيال المتعاقبة، وقد أجاز "المعري" الزمن

(١) السابق، ص٢٩.
(٢) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٣٥٠.
(٣) السابق، ص٣٥٠.

فى ثلاثة أحوال تعبر عن مضمون الدهر "الأمس، اليوم، الغد" وهي تحيل إلى الماضي والحاضر والمستقبل.

تلك الملامح الموجودة فى نتاج "المعري" يتَبَلْور الزمن فى عدد من أبعادها، ونستطيع أن نمثِّل رؤية الزمن فى صورة الوجود الإنسانى، من خلال التعمق فى ثنايا شعر "المعري" الذي يضفى مزيدًا من المحاكاة والتَّمَاثُل للأصل المراد تصويره إذ إشكالية الوجود ومعطيات الزمن تكمن فى صورة الحياة المرتبطة بذلك الوجود، فنراه دائمًا فى تداولية الزمن التى تتشكل فى حركية متكررة ودائمة لا تنقطع عن الإنسان، فلا يمكن تصور "الزمن" بدون شعور "النَّفس" بالحياة وحركتها الدائمة التي لا تهدأ.

ثانيا) الزمن والذات الشاعرة.

إن ارتباط الزمن بالذات يجعل الزمن متصلًا بالشعور الإنسانى، حيث يمكن الكشف عن الزمن وتحولاته من خلال شخصية "المعري" التى تتلخص فى أنه "شاعر متفلسف، جاحد متشائم، أعمى بصير، ذكي ألمعى"(١)، وفى ظل متابعة سير الماضى الذي يشهد على الأدب فى العصر العباسى نرى الحياة العامة تدفع إلى التخلي عن عنصر الصدق الفني فصار الأدب ظلًا للسلطة.

فقد كان "المعري" فى تلك الظروف يمثل "السجين الحر، والمقيد الطليق، والضرير البصير الذي عاش حر الفكر والوجدان حي الضمير، وقاوم فى بسالة تقرب من الاستشهاد، مغريات الحياة الدنيا، وجاذبية السلطان، ونوازع النفس، كى تسلم حريته"(٢)، وهذا ما يجعل الإشاريات الشخصية لها دلالة فى التعبير عن الذات المتلفظة، وهذه الذات هى "محور التلفظ في الخطاب تداوليًا؛ لأن الأنا قد تحيل على المتلفظ

(١) مع المعري اللغوي/ إبراهيم السامرائي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، المقدمة ص٥.

(٢) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر/ عائشة عبد الرحمن، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م، ص١٤٦.

الإنسان...وممارسة التلفظ هى التى تدل على المرسل في بنية الخطاب العميقة، مما يجعل حضور الأنا يرد في كل خطاب"[١]، فيتبدل بناء الشخصية ويتغير بصفة مستمرة مع مرور الزمن، وهذا ما يجعل الإحساس بالزمن متغيرًا بفعل انعكاس الخبرات والتجارب والمواقف المختلفة على الذات الشاعرة، بذلك يكون الزمن فى الشعر يختلف عن الزمن الطبيعى كونه يخضع لإبداع الشاعر ورؤيته المتصلة بنفسه وبمحيطه الاجتماعى، فنرى الزمن في النص الشعري يجعل من مفردات اللغة عناصر تنمو وتتحرك حتى تكسب النص فاعليته فى القصيدة.

ويقوم الزمن على الشكل التداولى، والعمل على التحليل اللسانىّ، وخاصة المرتبط بالمفهوم الدَّلالىّ، الذي يشملُ المؤثرات النفسية والاجتماعية التى تصاحبها العديد من التغيرات بالتحول من تصور الزمن إلى إدراك الزمن، والشاعر يعبر عن الزمن في سياقات لغوية متنوعة، تتهيأ في مجموعة من الصور التي توضح أن "الماضي يتبعنا في كل لحظة نوجد فيها، وأن حاضرنا يشكل وعينا وإدراكنا متأثرًا بماضينا فنحن نفكر أو نعمل أو نرغب أو نحس أو ننفعل فى حاضرنا ومن ورائنا كتلة الماضى كله بمحتوياته وما يشتمل عليه من عناصر فكرية ووجدانية وعملية"[٢]، ويرتبط إدراك الشاعر بالزمن من خلال الإحساس بالوقت الذي يختلف من شخص إلى آخر، وهذا ما يستدعي النظر في تحولات الزمن وفقا للآثار الناجمة من تفاعل الشاعر مع ذلك الزمن والتى ترتبط بالذكريات وتداعيات الماضى مع كشف الحاضر والنظر إلى المستقبل، بذلك نرى وجود ارتباط بين الزمن والبعد الذاتى للشاعر من حيث البيئة المحيطة به ونشأته والتغيرات الطارئة في حياته، ومدى التوافق مع تلك التغيرات.

(١) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية/ عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م، ص٨٢.

(٢) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب/ إميل توفيق، ص٩٧.

ونجد "أبا العلاء المعري" قد لاقت نفسه معاناة في مقتبل العمر، وهذا ما دفعه إلى "الشدة والتضييق يحاول أن يمتحن قدرته على القول في فنون الشعر المختلفة يروض نفسه على ذلك كما راضها على أشياء كثيرة فيفخر غير مؤمن بالفخر بل يفخر وهو رافض للفخر أشد الرفض ويتغزل والغزل أبغض شيء إليه ويمدح وهو يرى أن ليس بين الناس من يستحق المدح"(١)، وهذا ما يعكس ذاته الشاعرة التي تأثرت بشكل كبير بما لاقه في نفسه، وتتألم النفس بمعاناة الفقد الذي ينال منها، فيكون الإنسان الكفيف أسير الظلام والعزلة عن الآخرين مما يتسبب في أذى نفسي لانعدام المعرفة والاختلاط المباشر بالعالم الخارجي، حيث تتطلب المعرفة وجود وسيط ومرافق ينقل لذلك الكفيف تلك المعرفة.

وقد نرى تزاوجًا بين الزمن والنفس البشرية التي تعيش فيه، حيث يكون الزمن مصير الروح المفروض عليها، طالما لم تكن بعد في كمال مع نفسها، أي طالما كان مفروضًا عليها أن تكشف عما في باطنها، وأن تمتلىء شعورًا بنفسها، ولذا لابد أن تخرج الروح ذاتها الباطنة وتفرغ نفسها في الزمن(٢)، وذلك ما يجعل الزمن المصير المفروض على "المعري" في ظل علته التي لازمته، فكانت ذاته تتجلى في شعره من خلال تقديره واحترامه لنفسه، ما دفعه للتغلب على ضعفه وانعدام البصر الذي قيده بقيود جعلته سجين سلطة عاهته التي حجبت عنه العالم الخارجي وحبيس العمى الذي لازمه منذ الرابعة من عمره، فيقول:

لعَمْري لقد وَكّلَ الظاعِنُونَ بقَلْبيَ نَجْماً بَطيءَ الغُرُوب
أقولُ وقد طالَ ليلي علَيّ أما لشَبابِ الدّجى من مَشِيبِ(٣)

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء: آثار أبي العلاء المعري/ تحقيق مصطفي السقا وأخرون، إشراف وتقديم، طه حسين، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م، مقدمة ص أ.

(٢) الزمان الوجودي/ عبد الرحمن بدوي، ص٢٢.

(٣) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٥٢.

ففي البيت الأول نجد "المعري" يقلب الكلام، حيث "أقام القلب مقام العين، مشيرًا بذلك إلى عماه. قال: أُراعي النجوم بالقلب لا بالعين"[١]، فحين يتم تحليل بنية النص الشعري يتجلى الزمن فى صور حركية نراها فى لفظة "عمري" ولفظة "بطىء"، فعمر الإنسان يأخذ مسافة زمنية قد يعيشها فى سعادة وقد يجدها فى بؤس وشقاء، وهنا يتجلى الشعور بالزمن بصور قد تمر سريعة أو بطيئة، فشعور "المعري" يعبر عن إحساسه الداخلى ببطء الزمن بسبب علته التي تجسدت في العمى، وفقدانه للبصر الذي جعله يرى النجوم بقلبه لكنها كانت بطيئة، كما جاء البيت الثانى يعبر عن ترادف الذات الشاعرة مع مترادفات الزمن، مما يجعل الدلالة تتشابك مع حركية الزمن، فالكفيف لا يرى حلاوة الحياة ولا أشكالها التي تجعلنا نستمتع بها، ويستخدم "المعري" اللغة في التعبير عن الزمن بوصفه المحسوس، فيعبر عن طول المسافة الزمنية بقوله "طال ليلي علي"، وهذا إن دل يدل على المأساة التي كان يعانيها مع انعدام رؤيته البصرية للأشياء من حوله، وتكون معطيات الزمن قيمة محسوسة تتمحور فى الظلام، ما جعله يطلب قدوم المشيب للشباب الذي عاشه في ظلام حتى ينقضي الزمن ولا يطول عليه ويزيد من تعذيبه، وهذا ما يؤكد أن وعي الشاعر بالزمن يرتبط بالظروف المحيطة بالنفس، ودواخلها ونزاعتها في اللحظات التي تمر عليها، ويقول:

علّلاني فإنّ بِيضَ الأمانِي ... فَنِيَتْ والظّلامُ ليسَ بِفاني
إن تَنَاسَيْتُما وِدادَ أُناسٍ ... فاجعَلاني مِن بعضِ مَن تَذكُرانِ
رُبّ ليلٍ كأنّه الصّبحُ في الحُسْـ ... ـنِ وإن كانَ أسْودَ الطّيْلَسانِ
قد رَكَضْنا فيه إلى اللّهْوِ لمّا ... وَقَفَ النّجْمُ وِقْفَةَ الحَيْرانِ
كمْ أرَدْنا ذاكَ الزّمانَ بمَدْحٍ ... فشُغِلْنَا بذَمّ هذا الزّمَانِ[٢]

(١) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٦٥١.

(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٣٤.

تعبر الأبيات السابقة عن قوة الزمن في مقابل الضعف الإنساني، فالأماني تنقضي بموت الإنسان ورحيله عن الدنيا، أما الزمن لا ينتهي ولا يمكن لأحد أن يوقف حركته الدائرية التي تمر على الإنسان وتسلب منه قدرته، فالحدث الرئيس الذي طال "المعري" في صباه يلقي بظلاله على ما يصدر منه في قول الشعر، والفواصل الزمنية في استخدام لغة التضاد بكلمات: "بيض الأمانى/الظلام، ليل/ صبح، أبيض/ أسود، مدح/ذم"، يجعل رؤية الشاعر للزمن ترتكز في تلك الفواصل التي يراها "المعري" في شواهد الطفولة المحفورة بذاكرته والعمى الذي لازمه طيلة حياته، ويبدو في وصف البيت الأول ضعف الأماني وفناؤها، فعمى "المعري" في طفولته جعله يفقد الأمل في رؤية الأماني بلونها الأبيض، وكانت فكرة الفناء هي المسيطرة على وجدانه، فالفناء يعني انقضاء العمر ونهايته، وهنا يأتي حضور القوة التي يراها "المعري" في الزمن، فالظلام الذي يعيشه بحدود العمى جعله لا يرى نهاية لهذا الظلام وهذا ما جعله عاجزًا أمام مقاييس الزمن، فيتخيل الليل كأنه صبح بقوله "رب ليل كأنه الصبح"، فالأماني التي فنيت لا تمنعه من التمني، فبراعة "المعري" وتمكنه وثقافته وجزالة اللغة جعلته يسقط قوة الزمن وسطوته على حاله الذي يعيشه في ظلام دائم، ويقول:

وَيُؤْنِسُنِي فِي قَلْبِ كُلِّ مَخُوفَةٍ حَلِيفُ سُرًى لَمْ تَصْحُ مِنْهُ الشَّمَائِلُ
مِنَ الزَّنْجِ كَهْلٌ شَابَ مَفْرِقُ رَأْسِهِ وَأُوثِقَ حَتَّى نَهْضُهُ مُتَثَاقِلُ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا وَالصَّبَاحُ يَرُوعُهَا أَخُو سَقْطَةٍ أَوْ ظَالِعٌ مُتَحَامِلُ[1]

جاءت الأبيات السابقة تعكس مدى ما يسعى إليه "المعري" من تحقيق انسجام مع الزمن، على الرغم من ازدواجية الزمن وسيره في سياق غير متجانس بحكم طبيعته المتقلبة والمتتابعة التي تتجسد في الليل والنهار، فنراه يرسم الزمن الحقيقي، لينفرد في زمنه الخاص، الذي يكشف شعوره المنبثق من روحه الحزينة التي تعاني من الأسى، وغمامة من الحزن يتشكل بها الزمن في سياق شعوري ووجداني مرتبط بواقع "المعري" الذي رسم معالمه

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٤٤.

فى صورة شعرية تجسدت فى "جعل الليل لسواده وما فيه من النجوم كزنجى شاب رأسه. وجعله كهلًا إشارة إلى شدة الظلام واستحكامه، وقوله وأوثق حتى نهضه متثاقل، جعل كأنه مُوثق لا يبرح"(١)، فعلى الرغم من ظلام الليل وانعدام الرؤية فيه نجده يستأنس ذلك الظلام ووحشته.

ونراه يشير إلى صورة ذهنية مدركة فى ذاك الزمن الذي يعيشه وهو لا يرى سوى "الأسود" الذي يرمز إليه بتمثيل طبيعة "الزنج" وصورته المعروفة التي تجعل الزمن ينحسر في صورة "الليل"، بما يحمله من هموم، وقلق، ووحشة، وعزلة. وتكون الأبيات السابقة عبارة عن متوالية زمنية تحمل سمات مرتبطة بذات الشاعر التى تفرز مجموعة من الألفاظ التى يتم معالجتها من خلال سياقها التداولى الخارجى المتجسدة فى طبيعة الإحالة الزمنية الموجودة فى الخطاب الشعري، والتى نراها فى مجموعة من الدلالات التى تتحقق من خلال العلاقة بين ألفاظ البيت الأول "يُؤْنِسُنِي، حَلِيفُ"، ولفظي "مُتَثَاقِلُ، مُتَحَامِلُ" في الأبيات التالية، ذلك التناقض يعكس مدى ما يعانى منه "المعري" فى عمى بصره، وهو يحاول أن يستأنس الزمن ويتعايش معه حتى وإن عاشه فى ظلام طويل، كما يعبر عن ثقل الزمن وتحامله عليه، فهو لا يرى ولا يعيش كما تعيش باقى الخلائق، لذى نراه يستأنس الظلام الذي فرض عليه حتى وإن رفضه الناس.

إن الإنسان غالبًا ما يفقد الزمن الموضوعي بصورة تجعل من المستحيل عليه تعويض ما فاته بعد انقضاء ذلك الزمن، بعكس الزمن الذاتى يظل عالقًا بالذاكرة ويمكن للإنسان استرجاعه بكل تفاصيله، من خلال العودة بالذاكرة إلى فترة الطفولة والصبا والشباب، ما يجعل من الممكن معايشة الماضى بكل تفاصيله التى مرت، كما يمكن أن يستشرف المستقبل من أجل تحقيق أهدافه وآماله التي يسعى إليها(٢)، فيعبر "المعري" عن تصوره للزمن في قوله:

(١) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٥٤٦.

(٢) الزمان الدلالي: دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية/ كريم زكي حسام الدين، ص٥٣.

وَرَائِـــي أَمَـــامٌ وَالْأَمَـــامُ وَرَاءُ إِذَا أَنَـا لَـمْ تُـكْـبِـرْنِـيَ الْـكُـبَـرَاءُ
بِـأَيِّ لِـسَـان ذَامَـنِـي مُـتَـجَـاهِـلٌ عَـلَـيَّ وَخَـفْـقُ الـرِّيـح فِـيَّ ثَـنَـاءُ[١]

يصور "المعري" الزمن بحركيته اللامرئية التى نراها فى ثنائية الدلالة التى تعبر عن الماضى المتجسد فى الوراء، والأمام الناظر إلى المستقبل، ونجد التخاطب الزمنى بين الماضى، والحاضر، والمستقبل، يظهر فى شخصية "المعري" وتعبيره عن ذاته وحضورها الزمنى، فهو يرفض النظر إلى الماضي بقوله: "ورائي أمام"، وفي نفس الوقت نراه يعتز بذاته لدرجة تمرده على الماضى والحاضر والمستقبل حتى تصبح الذات فى صراع مع الزمن، فيرى المذمة مع تجاهل من حوله يجعله لا يعير الزمن أي اهتمام، فصار بالمبالغة يصور سمو الذات وعلو "الأنا" من خلال تحقيق وجود الزمن الذي يشهد على علو مكانته وشأنه، فجاءت نظرته إلى الزمن تعبيرًا عن سخطه على من يتجاهله من الناس، ويحمل الزمن فى طياته مجموعة من المؤثرات النفسية التى فرضت على "المعري" قيود ظاهرة تتجسد فى بصره الذي لا يرى سوى الظلام، وقيودًا باطنة تبدو فى تحمله النفسى الذي جعله لايرى الانطباعات والملامح من حوله، فبدا فى عزلة إجبارية عن الناس لا يراهم إلا إذا تحدثوا، كل تلك المؤثرات جعلت التنافر ظاهرًا بين ذات الشاعر وحاضره الزمنى، وذلك ما يجعل "التكوين النفسى المتفرد الجانح إلى التأمل الميتافيزيقي والنازع إلى المطلق هو محور شخصية المعري"[٢]، وبهذا نرى أثر ذلك في رؤيته للزمن.

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٣٢.

(٢) النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين / سناء خضر، ص٨٦.

المبحث الثالث: الزمن وأثره في السياق النصي.

النص الشعري خطاب تواصلي يعبر عن صورة ذهنية تتبلوُر من خلالها الأفكار والتجارب والمواقف فى مخيّلة الشاعر، لذا كان من الضروري للقصيدة أن تتشكل فى سياق يعبر عن محتواها الفكري الذي يقرب للمتلقى فهمها والوقوف على دلالتها، والسياق من مرتكزات التداولية، بما له دور جوهري فى فهم النص، حيث لا يمكننا فك شفرات النص إلا من خلال السياق الذي هو الأساس في اتساق النص وانسجامه، والزمن عنصر من عناصر السياق النصى الذي يجعل المتلقى يصل إلى إدراك النص وفهمه وتأويله، فالزمن يضع أمام المتلقى صورة من صور الإدراك والفهم للنص، حيث يمكن أن نجد الطبيعة المتعارف عليها عن الزمن ومدلولاته على مر العصور فى مجموعة من الألفاظ المتداخلة فى بنية النص، مع بيان أثر المحيط الاجتماعى الذي يعكس فهمنا للنص الشعري، وسيتم عرض نماذج من الصور المعبرة عن الزمن ودلالته في إطار السياق التواصلي فيما يلي:

أولا) الدهر ودلالته الشعرية:

ينصرف الذهن إلى أن لفظ الدهر يعنى "الزمن الطويل والحياة الدنيا، فلعل التعبير عن طول الزمن بالسرمد كان أقوى وأبلغ، فهو عبارة عن دوام الزمان من ليل ونهار، ومع ذلك فهو لا يعني قط لا نهائية الزمن بل يشير فقط إلى طوله النسبى، يقال ليل سرمد: طويل"[(١)]، و"المعري" فى رؤيته لم يفرق فى المعنى بين الزمن والدهر، وقد تأثر فى ذلك بالتراث العربى الجاهلى، حيث جاءت لفظة الدهر بمعنى واحد عند الشعراء الجاهليين فى لغتهم وتفكيرهم، فالدهر عندهم يمثل القوة الخفية التى تفعل فعلها فى الأشياء والناس، وقد جعل الجاهليون من الدهر مفهومًا شعريًا يستعينون به في الدلالة على مجرى الحوادث الكونية وتصرف الأقدار، والدهر في

(١) بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية/ محمد عابد الجابري، ص١٨٨.

المعنى القرآني يمثل قوة قاهرة تدهم الموجودات بشكل مفاجيء، أو تسري سريانا بطيئًا، فتسلبها وجودها وتحيلها إلى عدم(١)، يقول "المعري":

فيا أحلمَ السّاداتِ من غير ذِلّةٍ ويا أجْوَدَ الأجْوادِ من غير مَوْعِدِ
وَطِئْتَ صروفَ الدهر وطْأةَ ثائر فأتْلَفْتَ منها نَفْسَ ما لم تُصَفِّدِ
وعَلّمْتَـهُ منـكَ التّأنّـي فانْثَنَـى إذا رامَ أمـراً رامَـه بتـأيُّدِ
وأثْقَلْتَـه مِـن أنْعُـمٍ وعَـوَارِفٍ فسَارَ بها سيرَ البَطِيءِ المُقيّدِ
ودانتْ لكَ الأيامُ بالرّغمِ وانْضَوَتْ إليك الليالي فارْمِ مَن شئتَ تُقْصِدِ(٢)

ففى البيت الثانى يأتى "المعري" بلفظة الدهر التى تعبر عن الزمن فى صورة تتجانس مع إدراك الحلم الذي يعلو له الإنسان الحر دون إذلال أو تدنى، فغاية الإنسان للوصول إلى حلمه لا تدفعه إلى التخلى والتنازل عن مبادئه، بل يترفع في سعيه إلى تحقيق مراده وغايته، ويعبر بذلك عن انتفاضة الممدوح وصراعه مع مواقف الدهر المتلاحقة، فيظل الزمن على مدى طوله يؤثر فى نفس الإنسان بفعل المواقف التى تحيطه بالقيود، فإن لم يتقيد الإنسان بتلك المواقف على مدى الزمن البعيد فهو هالك لا محالة، وقد جعل "المعري" ممدوحه فى صراع مع الزمن لتحقيق ذاته فى شأن العلو والترفع، حتى صار الزمن خاضعًا فى صورة علمته التأنى، فإذا أراد شيئًا تدبر في الأمر قبل الإقدام عليه، ومن كثرة الشدائد التي أثقلته سار بطيئًا، فجاءت لفظة الدهر لتظهر مدى مرور الممدوح الذي يقصده "المعري" بلحظات ومواقف تعبر عن طول الزمن ومروره البطيء ما يفرض قيودًا يعانى منها على فترات عمره المتعاقبة، ويأتى بنهاية الصراع الذي ربط ذلك الممدوح بدروب الزمن وأحواله، وتكون الأيام قد أطاعته مرغمة ولجأت إليه

(١) الزمان في الفكر الإسلامي: ابن سينا–الرازي الطبيب–المعري/ إبراهيم العاتي، ص١٥٨–١٥٩.

(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٢٩.

الليالى، وهذا ما جعل الحضور الإنساني قويًا في مقابل الدهر وأحواله المتغيره.

ويعادل الدهر فى معناه الزمن عند "أبى العلاء المعري"، فهو تلك "القوة الخفية والمدمرة التى تلامس كل موجود فتحيله إلى عدم، وتتربص بالإنسان فتصب عليه ألوانًا من النكبات وصنوفًا من العذاب"(١)، وهذا ما يثير لدى "المعري" دائمًا المخاوف من الزمن، فيتدبر فى خفاياه ويؤثر التفكير العميق في كل تفاصيله، ونجد "الشاعر وهو يدفع بموضوعاته أو أفكاره إلى رحى النص لا يدخر جهدًا أو حيلة فى استثمار ما يكفل تحويل تلك الموضوعات أو الأفكار إلى وقائع نصية، غير أن طريقته فى التعامل معها تتباين تباينًا حادًا وفقًا لكل واقعة حياتية أو ذهنية"(٢)، وعلى ذلك نرى طبيعة الرثاء تعطي لفظة الدهر منحى أخر، يقول:

فَتَسَـلّبْنَ وَاسْتَـعِرْنَ جَميعاً مِنْ قَميصِ الدّجَى ثيابَ حِدادِ
ثُمّ غَـرِّدْنَ في المَـآتِمِ واندُبْـ ـنَ بِشَجْوٍ مَعَ الغَواني الخِرادِ
قَصَدَ الدهر من أبي حَمزَةَ الأوَ اب مَوْلى حِجىً وخِدن اقتصادِ(٣)

يرسم "المعري" صورة المعالم الكونية للزمن فى الرثاء من خلال "قَميص الدّجَى ثيابَ حِدادِ"، فالدجى "جمع دُجية، وهى من الظلمة"(٤)، فالظلمة تأتى بعد انقضاء النهار وقدوم الليل، وجاءت لفظة "تسلبن" دلالة على غفلة الزمن التى تسلب الإنسان في لحظة من اللحظات حياته ووجوده، ولفظة "استعرن" دلالة على الاستبدال والتحول الزمنى من حال إلى حال، فقد أراد "المعري" تجريد الزمن من مظاهر الفرح التي ولت بذهاب

(١) الزمان في الفكر الإسلامي: ابن سينا–الرازي الطبيب–المعري/ إبراهيم العاتي، ص١٦١.

(٢) الدلالة المرئية/ علي جعفر العلاق، مقال منشور مجلة فصول، مج١٥، ع٣، خريف ١٩٩٦م، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٣٣٥.

(٣) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٨٢–٨٣.

(٤) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٩٨٤.

النهار، واستعارة ملابس سوداء بقدوم "الدجى" فى تمثيله للظلمة التى نراها فى قدوم الليل، وفى البيت الأخير جاء "المعري" بتعبيره عن مقاصد الزمن المتجسدة فى لفظة "الدهر"، والتى نراها فى رثاء صديقه الفقيه "الحنفى أبى حمزة"، فيصفه بأنّه أوّاب يعنى توّاب، وكذلك هو فقيه حنفي له آثاره وقضى عمره في طلب العلم وتحصيله، ويقول:

يا دَهْرُ يا مُنجِزَ إيعادِهِ ومُخْلِفَ المأمولِ من وَعْدِهِ
أيُّ جَــديدٍ لكَ لم تُبْلِهِ وأيُّ أقــرانِكَ لــم تُــرْدِهِ(١)

ففى الأبيات السابقة يعبر "المعري" عن عدم ثقته بمتغيرات الزمن وتقلباته المستمرة فيوجه ندائه إلى الدهر بصورة تعكس شعوره بالقلق والتوتر من تلك التغيرات، وتؤكد على خبراته التى تتضح من خلال المقابلة بين الألفاظ فى قوله: "مُنجِزَ إيعادِهِ / ومُخْلِفَ المأمولِ"، فالمؤكد والواقع يراه فى تحقق شرور الزمن مع عدم وفائه بالوعود، فطبيعة الزمن المتغيرة تبدو فى صور موحشة جعلته يعبر عنها في الابتلاء والهلاك، وهنا نرى عدم التوافق الذي ساقه "المعري" فى علاقته بالزمن، ويقول:

أمْهَلَهُ الدّهْرُ فأوْدَى بهِ مُبْيَضُّهُ يُحْدَى بمُسْوَدّهِ(٢)

ويأتى تعبير "المعري" لطبيعة الزمن القابلة للتغيير والتعاقب، فالزمن يتجسد فى لفظة الدهر الذي يمهل الإنسان وتتداول عليه الأيام وتتعاقب فى صورة النهار والليل، فيصير في حياته المتقلبة التي يتوالى عليها الخير والشر متجسدًا فى لونى الزمن الأبيض والأسود، وهنا تصبح قوة الزمن تتجسد فى بقائه مقابل ضعف الإنسان المتجسد فى فنائه، فالزمن يمهل الإنسان ولكنه لا يتركه، فلكلًا منا فترة يعيشها حتى يأتى أجله فى لحظة موعودة، وبذلك يصبح الزمن شاهدًا على تعاقب الأجيال بين الميلاد والفناء، فالوجود مرهون بعمر الإنسان، ويمثل العمر وجودًا زمنيًا محددًا، فإذا انتهى عمر الإنسان انتهى زمنه، ويقول:

---

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٨٥.

(٢) السابق، ص٨٧.

والدّهْرُ إعْدامٌ ويُسْرٌ وإبْـ ـرامٌ ونَقْضٌ ونَهارٌ ولَيْل
يُفْني ولا يَفْنى ويُبْلِي ولا يَبْلى ويَأتي برَخاءٍ وَوَيْل(١)

فيشير المضمون إلى طبيعة الزمن المتقلبة التى تحمل تناقضات، وذلك فى الطباق بين الألفاظ "إعدام ويسر"، "إبرام ونقض"، "ليل ونهار"، حيث تكمن قيمة الطباق فى التباين الحاضر فى صورة الدهر، وتكرار استخدام الطباق فى البيت الأول دلالة على التحولات المستمرة فى الزمن، والتي تبدو من خلال التناقضات التي تحملها الألفاظ فى سياقها الكاشف لذات الشاعر وانعكاس لرؤيته حول مقتضيات الزمن وأحواله التى لا تستقر على حال، ويليه بمصير الإنسان فى صراعه مع الزمن، فالغلبة دائمًا ما تكون للزمن فالإنسان مبتلى وفانى، والدهر هو باقى "لا يَفْنى.. ولا يَبْلى"، وعادةً ما يعيش الإنسان زمنه فى أحوال تتأرجح بين الرخاء والأزمات، فنرى "المعري" في أزمة نفسية لا يقوى على التغلب عليها، ما يجعله يعيش فى تصارع داخل الزمن من خلال الوعي بكينونته الوجودية، فيرى أن أزمته انتجها القدر بحتمية فاقت قدراته البشرية، فأنتجت لديه وعيًا صوفيًا إدراكيًا جعله يتعايش مع تحولات الزمن التي تمتلك قدرة فوقية لا يمكنه التصدي لها، ويقول:

جَـرَّبْتُ دَهْري وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ لِـيَ التَّجَارِبُ فِي وُدِّ امْرِئٍ غَرَضَا(٢)

يعبر "المعري" عن شعوره بالملل والزهد من الحياة فى الدنيا ومفاتنها، فلم يلق حظه بها، فقد عاشها فى أسى يعانى من علته التى لازمته منذ الصغر، فمرت أيام صباه وشبابه فى معاناة حتى قتلت لديه الآمال فصار يزهد فى الدنيا التى عاش تجاربها، فجاء التساؤل عن الزمن يعبر عن سخط "المعري" من حاله وما رأه من قبيح صنع الحياة التى يعيشها، ومن تقلب أحوال الزمن وسوء معاشرة الناس، وهذا ما يشير إلى أن "المعري" لم يكن على وفاق مع العالم من حوله، ما يعزز الشعور بالفقد والحزن.

(١) السابق، ص١٥٩.

(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٥٣.

ثانيا) الاسترجاع الزمني ورؤية الحاضر:

يشكل الحاضر الزمني جزءًا من وجودنا في الحياة، فنرى هذا الحاضر فى صورة "اللحظة الحالية التى تبين لنا الوجود المباشر للإنسان، إلا أن الإنسان نفسه يتجاوز ذاته فى هذه اللحظة، إما بالعودة إلى الماضى أو بالانطلاق نحو المستقبل"(١)، ورغم الاختلاف الذي يحمله الزمن تظل اللحظة الفعلية هى الآن، وقد نرى آنية الزمن فى انتقاد "المعري" لحاضره الذي يعيشه، ورؤيته لمعاصريه، حيث رسم "المعري" زمنه الخاص الذي رأه فى فخره بنفسه، وذمه لمن حوله، وهذا ما ظهر فى قصيدة "سبيل المجد" فظاهر الدلالة الفخر أما باطنها الإحباط الذي رأه "المعري" فيمن حوله، فصار بكلماته يرسم زمنه الخاص الذي يراه في الاختلاف عن غيره، وصار في وصف حاضره الزمنى، بقوله:

وَطَالَ اعْتِرَافِي بِالزَّمَانِ وَصَرْفِهِ فَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ تَغُولُ الْغَوَائِلُ
فَلَوْ بَانَ عَضْدِي مَا تَأَسَّفَ مَنْكِبِي وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ الْأَنَامِلُ(٢)

جاء اعتراف "المعري" فى البيت الأول يشير إلى مدى معرفته بمقتضيات العصر الذي يعيشه، فنراه فى البيت الثانى يصف "المنكب والعاتق بحملها للأشياء الثقيلة، وتقلدهما للأمور الجليلة، فكان وصف المنكب بالأسف أذهب فى الفحوى وأقرب إلى المعنى، لأن الأسف ثقل يحمله المتأسف، وعبء يتقلده المتلهف، وأما البكاء فإنه يخفف ثقل الأسف ويزيل عبء اللهف"(٣)، وهذا ما يدفع "المعري" إلى استرجاع الزمن الماضي واستدعاء شخصيات تراثية بسماتها المعروفة، فيقول:

إِذَا عَيَّرَ الطَّائِيَّ بِالبُخلِ مَادِرٌ وَعَيَّرَ قِسًّا بِالسفَاهَةِ بَاقِلُ
وَقَالَ السُّهَا لِلشَّمسِ أَنْتِ كَسِيفَةٌ وَقَالَ الدُّجَى لِلبَدرِ وَجهُكَ حَائِلُ

(١) الزمان أبعاده وبنيته/ عبداللطيف الصديقي، ص١٢٨.

(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٤٣.

(٣) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٥٣٣.

وَطَاوَلَتِ الأَرضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَفَاخَرَتِ الشُّهبَ الحَصَى وَالجَنَادِلُ[١]

يصف "المعري" زمن العجائب الذي يعاب فيه "قِس بن ساعدة الإيادي"، وكان رجلا حكيما من حكماء العرب، ويثنى على باقِل "أحمق العرب"، والطائى ويعنى "حاتمًا الطائِى" الذي سار به المثل فى الجود، ومادِرُ رجل من بنى هلال ويضرب به المثل فى البخل، أما باقل: فهو رجل من العرب معروف بالعى، والعِىُّ: الذي لا يحسن التعبير وقيل الذي يَتَتَعْتَع في كلامه[٢]، فجاء استدعاء شخصيات من الزمن الماضي معروفة بسمات محددة فى التراث من أجل إسقاطها على العصر الذي يعيشه "المعري"، وهذا الاستدعاء يعكس أوضاع الناس وأحوالها الغريبة، حتى صار المجتمع فى حكمه لا يعرف ميزان الاعتدال فى تقديم معرفة سوية بالشخصيات، فمن الواضح أن "المعري" عاصر حياة سياسية مضطربة مع "ضعف الوازع الديني وفساد النظام الاقتصادي، ومن مقتضيات الأمور أن تسود الفوضى في كل عمل، ويضطرب حبل الأمن، وتتفكك عري المحبة، ويعم التدابر والتقاطع، وتشرئب اعناق المطامع، فيسعى كل فرد إلى انتزاع ما فى يد غيره"[٣]، ولذا جاء استدعاء "المعري" للماضى المتجسد فى الشخصيات التراثية المعروفة بصفاتها ليوضح مدى انهيار المبادئ والقيم فى زمنه من سوء النفاق وتداعي المعايير واختلالها، فنجده يرثى الزمن ومعالمه المضطربة في صورة جعلت "مادر" المعروف بالبخل يعيب على "حاتم الطائى" المعروف بالجود؛ و"باقِل" الذي لا يحسن التعبير يعيب على "قسّ بن ساعدة الإيادي" المشهود له بالفصاحة وحسن الحديث.

وفى النص الشعري السابق استدعى "المعري" شخصيات من العصر الجاهلي، وذلك بوضعها في إطارها الاجتماعي الذي يحمل نفس سماتها

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٤٣.

(٢) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٥٣٣ : ٥٣٥.

(٣) الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره/ محمد سليم الجندي؛ أشراف عبدالهادي هاشم، ج١، سوريا: مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٦٢م، ص١٢٧.

وأفكارها وطبيعتها التي عرفت بها في الماضي، فجاء استدعاء تلك الشخصيات ودمجها في الحاضر الذي تشير إليه القصيدة، يسهم في إثارة ذهن المتلقى من خلال تخيل المفارقات التى تصاحب هذه الشخصيات، وما يتشكل من معان وأفكار تقف خلفها، وذلك بوجوب إسقاط الحاضر على الماضى كوسيلة من وسائل التعبير الموضوعي في رمزية إلى مدى ما يعيب الزمن وأحواله حتى كانت الموازين مقلوبة.

وقد نرى "المعرِّي" في شعره "يجمع بين الإخلاص والشدّة –الإخلاص فى خدمة الحقيقة كما تتراءى له، والشدة فى مهاجمة أهل الفساد– وهو بذلك يختلف عن سائر الشعراء الذين لمعوا فى تاريخ الأدب العربى"(١)، ففى قصيدته لم يكتف بتصوير حال الزمن الهزلى الذي رأه فى الخلائق من حوله، بل نراه يصور الطبيعة التى صارت تعكس حال المجتمع وزمنه، فكان السُّها وهو كوكب خفيّ يعيب على الشمس وينعت ضوئها بالضعيف؛ والدجى "الليل" يعيب على الصبح ويصفه بأنه مظلم وفاقد للنور؛ وحتّى الحصى والحجارة تفاخر الشهب وتعيب عليها، ومن كثرة السفاهة رأينا الأرض تدعى بفضلها على السماء، بذلك صار الزمن سلبيًا ينعدم فيه التوازن فما كان فى البشر صار ينعكس على طبيعة الزمن، حتى انتاب "المعري" إحساس باليأس من استحالة التغيير فى مقدرات هذا الزمن، ما دفعه إلى طلب الخلاص من تلك الحياة الذميمة، فيقول:

فَيَا مَوتُ زُرْ إنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِّي إنَّ دَهرَكِ هَازِل
وَقَدْ أَغْتَدِي وَاللَّيْلُ يَبْكِي تَأَسُّفًا عَلَى نَفْسِهِ وَالنَّجْمُ فِي الْغَرْبِ مَائِلُ(١)

إن الزمن الذي يعاصره "المعري" فى طرحه غير المتوازن دفعه إلى تفضيل الموت على قبول وجوده فى ذلك الزمن الهازل الذي عمه الفساد، ودلالات النص الشعري توحي بمضمون التناقضات المحبطة التي بدت مستترة خلف غرض القصيدة في فخر "المعري" بنفسه، وذلك بقوله: "ألا في

(١) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي/ أنيس المقدسي، ص٤١٨.

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٤٣.

سبيل المجد أنا فاعل..عفاف وإقدام وحزم ونائلُ"، فالمتأمل في مجمل القصيدة يرى نظرة "المعري" إلى ذاته التي يراها في شعور مفعم بالعفة والشجاعة والحزم والجود، تلك السمات لا تستوي مع مقتضيات الزمن الذي يعيشه في تناقضات يراها في أوضاع فاسدة سائدة في المجتمع، تلك الأوضاع التي يمقتها ويرفض وجوده فيها، فصار يتدرج من الفخر إلى رفض تقبل الوجود المتخاذل في تلك الحياة الذميمة، فما قيمة حياة الإنسان بدون إعلاء كلمة الحق، فالباطل وحكمه هو من يحكم الزمن حتى أصبح الليل يبكي على نفسه تأسفًا من قرب هلاكه وزواله، وترتكز رؤية "المعري" للزمن على العلاقة التي تربط بين الزمن وبين الحوادث المنسوبة إليه، "فالزمن كما يرى "المعري" هو آنية الحوادث، بل لا يمكن معرفة حقيقة الزمن قبل أن نعرف الحوادث، أو نكشف غطاءها على حد تعبيره"[١]، وهذا ما ينعكس على قوله:

وعلى الدّهْر مِن دماءِ الشّهيدَيْـ ـن عليٍّ وَنَجْلِه شاهِدانِ
فهُما في أواخـرِ اللّيْلِ فَجْـرا ن وفي أُولَياتِهِ شَفَقَان
ثَبَتَا في قَميصِهِ ليَجيءَ الحَشْـ ـرَ مُسْتَعْدِياً إلى الرّحْمن[٢]

استدعى "المعري" الحدثين الأبرز في التراث الإنساني مشيرًا إلى دماء الشهيدين، ويتجسد في شخصية "على بن أبي طالب" ونجله "الحسين"، وما كان لتلك الحدثين من أثار ظلت محفورة في الذاكرة والوجدان، فالباحث في التاريخ الإسلامي يجد الكثير من الأحداث التي تعيش وتبقى في النفوس، كونها تمثل المرتكز الرئيس في تشكيل الفكر والوجدان للبشرية على مر العصور، فجاء استدعاء شخصية "علىّ والحسين" للدلالة على أن زمن الحاضر انعكاس للماضي، وفي نفس الوقت إشارة إلى الفتنة التي تؤجج الصراع داخل النص بين الحق والباطل، حيث "تأخذ شخصية "الحسين بن

(١) الزمان في الفكر الإسلامي: ابن سينا–الرازي الطبيب–المعري/ إبراهيم العاتي، ص١٤١.

(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٣٥– ٣٦.

على" موقعًا متميزًا في مسيرة الشهادة من وجهتي النظر التاريخية والفنية، لذلك تشكل شخصيته، وموقعة كربلاء تراجيديا البطولة الساعية إلى تحقيق التغيير الحضاري في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي"(١).

وتأتي ألفاظ "الشهيدين، هما، فجران، شفقان"، دلالة على مكانة "علي بن أبي طالب، والحسين أبنه"، ويستحضر "المعري" صورة الدماء التي شاهدها الماضي في شخصية "علي بن أبي طالب"، وشخصية البطل "الحسين بن علي" الذي أراد إعلاء مبدأ الشورى، فنرى رؤية عميقة تتجلى في دلالة الدهر والدم والشهادة، فتلك المحاور الثلاثة تتشكل بها سلطة الزمن التي تحمل لون الدم الأحمر الذي يحمل مزيجًا كونيًا يبدو في الطبيعة بأول الليل وآخره، والشهادة التي تمثل أسمى قيم الفعل الإنساني على الأرض، حيث يتشكل الزمن من خلال السلوك الإنساني ويلتصق بالوجود الكوني الذي يتجسد في الدم بلونه الأحمر مع دلائل قيمة الشهادة التي عظمها الإسلام، كل تلك الشواهد لا يمكن محوها بل تظل محفورة في الذاكرة الإنسانية التي يتشكل بها وعي الإنسان، فيظل الزمن متمسكًا بالموروث التاريخي الذي يربط مصير الموت بقيم الذات فتسمو بفعلها إلى مراتب التضحية بالروح التي نراها في الشهادة.

ويعكس مضمون القصيدة المواجهة المستمرة بين سلطة الزمن والفعل الإنساني، فالزمن من الشواهد الملازمة لفعل الإنسان على الأرض، ويضع "المعري" على الدهر مسئولية تناقل المعرفة التي تبدو في لفظة "شاهدان" التي تعكس ميزان الحكم بين الصراع القائم على مدار التاريخ بين الحق والباطل والشر والخير، فدائمًا ما تكون نتيجة ذلك الصراع أن تسال الدماء، وهنا تبدو تفاصيل الظواهر والألوان، فالدماء التي تحمل اللون الأحمر ومزجها بشواهد الطبيعة المتجسدة في الشفق الأحمر مع بداية الليل دلالة على مدى التضحية التي من أجلها سالت تلك الدماء، ويقول:

---

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر/ علي عشري زايد، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي للنشر، ١٩٩٧م، ص١٢١-١٢٣.

يا ابن مُسْتَعْـرِضِ الصّفـوفِ ببدْر ومُبيدِ الجُمُوعِ مِن غَطَفَانِ
أحـدِ الخَمْسَـــةِ الذينَ هُمُ الأغْــ ـراضُ في كلّ مَنْطِقٍ والمَعاني(١)

أراد بمستعرض الصفوف ببدر "عليًا" رضى الله عنه، وأما قوله أحد الخمسة فالصحيح أنه يريد "عليًا" أحد أصحاب الكساء، وهم "محمد" صلى الله عليه وسلم، و"على، والحسن، والحسين، وفاطمة" رضى الله عنهم، حيث يستتبع "المعري" الربط بين الحدثين، حيث جاء استرجاع حدث استشهاد "الحسين" وشجاعته في "كربلاء"، والتي كلفته حياته دفاعًا عن مبدأ المسلمين فى الشورى، وما حدث فى خروج "على بن أبى طالب" رضى الله عنه لمواجهة المشركين، حتى أخذ عليهم الثغرة التى منها أقحموا خيلهم، ثم جعل "عمرو بن عبد ود" يدعو إلى المبارزة والتي انتهت بقتله على يد "علي بن أبي طالب" رضى الله عنه(٢).

فالتشابه بين الموقفين في شجاعة "على بن أبى طالب" عندما لاقى جموع المشركين يوم "بدر"، كذلك كان "الحسين" يمثل شجاعة أبيه في يوم "كربلاء"، والأمر بين "بدر وكربلاء" يعبر عن استرجاع الموقف ذاته، فكان "يزيد بن معاوية" ينتقم من "الحسين" لقاء ما كان قد فعله أبوه وجده، فالزمن يتغير لكن المقاصد البشرية لا تتغير بل تظل لصيقة بالنفس ومآربها، وفى نظر "أبى العلاء المعرّي" أن الزمن المتمثل فى "الدهر" والشواهد التى جاءت في تمثيل الحق من خلال دلالة "القميص" والتي نراها في قوله تعالى: ((وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ))(١)، فكان ارتباط دم الشهادة ودلالة القميص لها رمزية فى الصراع الكائن بين الحق والباطل، ثم جاء استدعاء "المعري" لشخصيات "الخمسة" يكسب النص الشعري قيمة منطقية تدفع المتلقى إلى اليقين بتلك القيم الإنسانية، إنها "صورة رائعة أجاد "المعري" فى رسم معالمها بدءًا من تأكيده على فلسفة الزمن وعلاقتها بمعادلة الشهادة

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٣٦.
(٢) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٤٤٤-٤٤٥.
(١) سورة يوسف الأية ١٨.

والحق وانتهاءً في اكتمالها كرؤية فلسفية جمع من خلالها معالم الكون والزمن مع الفعل الإنساني السامي"[١]، فتلك الشخصيات الخمسة المضيئة يهتدي بها من أضل من الناس، فتمثيل حضورهم الزمني في القصيدة يعطي ثقل للمعنى والغاية التى من أجلها كتب ذلك النص الشعري.

فقد اعتمد "المعري" على استدعاء الماضى المتجسد فى التراث الإسلامى، من خلال بناء مشهدي يتمثل فى الاتكاء على نماذج مضيئة يتم توظيفها ضمنيًا كمحور أو إشارة أو دلالة، وذلك بتخيل الأحداث المصاحبة لتلك النماذج وما توحى به من أجواء تعمق الفهم للقصيدة من خلال ربطها زمنيًا بالماضى، فتتحول بفعل جاذبيتها إلى صورة مبهرة ذات نزوع تأثيري فعال على المتلقي بحكم وجودها المضيء وفعلها الإنساني السامى.

ثالثا) تحولات الزمن:

إن صورة الزمن عند "أبي العلاء المعري" سلبية تحمل في باطنها الفناء، فكانت فكرة الموت تعبر بعمق عن إحساسه ونزعته المتشائمة، حتى أن ارتباطه بالزمن قاسم مشترك بينه وبين الجاهليين، فالإنسان مهما طال به العمر مآله إلى الموت[١]، ومن صور فعل الزمن فى الموجودات، عند الجاهليين هي صورة الموت، والموت من الأفعال المؤلمة للإنسان بما يخلفه من حسرة وفقد للأحباب، فلا تكاد تخلو قصيدة في الشعر الجاهلى من شواهده، وذلك كونه فعلًا حتمى الحدوث، لذا كان الشاعر الجاهلى أسير جبرية مفرطة، نكاد لا نجد لها مثيلًا إلا فى نتاج "أبى العلاء المعري"، فصورة الزمن عنده سلبية تحمل في باطنها جرثومة الإعدام

(١) الرؤية الفلسفية لسلطة الزمن في شعر المعري: قراءة تأويلية/ سالم عبد النبي جابر العقابي، مقال منشور بحولية المنتدى للدراسات الإنسانية "المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة"، ع١٤، ٢٠١٨م، العراق، ص٢٦.

(١) الزمان في الفكر الإسلامي: "ابن سينا، الرازي الطبيب، المعري"/ إبراهيم العاتي، ص١٦٢.

والفناء، فنرى فى شعره عمق التعبير عن نزعة الفناء والإحساس بالموت وارتباطه بالزمن، وأن الإنسان مآله إلى الموت، والموت عنده جسر يفضى إلى العدم(١)، والعدم شرط للوجود العينى، وهو الأصل فى كل نفى نقوم به داخل الوجود، فالشعور بالحاضر لا يتم إلا فى حالة القلق، وهذا يرتبط بالشعور بطول الزمن فى حالة القلق والخوف، على عكس الشعور بالأمان يبدو فيه الزمن قصيرًا ويمر بصورة أسرع(٢)، فنجد "أبا العلاء المعري" يرثى أحد أصدقائه وهو الفقيه الحنفي "أبو حمزة التنوخى"، ويعبر فى القصيدة عن إحساسه الحزين بعاهته وفقد بصره، والتشاؤم والزهد فى الدنيا، ويتأثر فيها بما قرأه عند "المتنبى" من سخط على الحياة وذم شنيع لها(٣)، ففى قصيدته تعبيرًا عن مفارقات الزمن التى يشعر بها فى سياق الوجود والفناء، ويرسم فلسفته التى صبغها بصبغة التشاؤم والزهد في مقتضيات الحياة، بأسلوب مميز، فيقول:

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلّتِي واعْتِقادي نَـوْحُ بـاكٍ ولا تَرَنّـمُ شـادِ
وشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِيـ ـسَ بصَوْتِ البَشِيرِ فِي كلّ نادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَنّـ ـنَت عَلى فَرْعِ غُصْنِها المَيّادِ(١)

يبدأ "المعري" القصيدة بالإشارة إلى الزمن وتغيراته وتقلباته المستمرة، ويصور تسارع الإيقاع الزمنى بين نوح الباكى وغناء الشادي، وهذا ما يضع التقارب الزمني بين الغناء والبكاء، وصوت البشير وصوت النعي، وانشطار الذات وحيرتها فلا تستطيع التفريق بين بكاء الحمامة وغنائها، والمفارقات التي طرحها "المعري" توضح رؤيته المتشائمة في مقتضى الزمن الذي يسير

(١) الزمان في الفكر الإسلامي: ابن سينا–الرازي الطبيب–المعري/ إبراهيم العاتي، ص١٦٠–١٦٣.

(٢) الزمان الوجودي/ عبد الرحمن بدوي، ص١٧٣–١٧٤.

(٣) الرثاء/ شوقي ضيف، ط٤، القاهرة: دار المعارف، [١٩٨٧م]، فنون الأدب، (الفن الغنائي؛٢) ، ص١٠٣.

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٨١.

في دروبه، فنراه يقدم البكاء على الغناء وصوت النعي على صوت البشير وبكاء الحمامة على غنائها، وهذا ما يوضح مفارقات الزمن من خلال التقارب بين الفناء والبقاء، فطبيعة "المعري" تعكس رؤيته للزمن فهو يرى أن الدنيا دار فناء لا دار بقاء ما جعله يذكر ملامح الموت ويعظمها بتقديمها في الأبيات السابقة، فالإنسان لا يأتي إلى الدنيا لكي ينعم بالخلود، فالدينا بيت شقاء وابتلاء، ويقول:

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن أديم الأرض، إلا من هذه الأجساد[١]

هذا التحول المفزع للزمن يبقى في حاضره الفناء وتلاشي الجسد البشري، وتبدو الحقيقة التي توضح قوة الزمن وفعله الذي نراه في القبر مكان التحول المرعب، فتزول عن الإنسان متع الدنيا ويغطيه التراب بعد أن كان يختال عليه، وتنتن رائحته بعد عطرها ويتلاشى الجسد، ولا يبقى منه غير الرفات العارية، فيرى "المعري" أن "القبر المسكن الوحيد للإنسان، وأن الخلاص الحقيقي هو الخلاص من الدنيا، في بناء كونٍ مقدس على الأرض يصلنا بالله والآخرة، عبر انتظارنا الموت الحق"[٢].

يتشكل الزمن من خلال الإشارة إلى الحاضر الذي دائمًا ما نراه مغلف بالتساؤلات عن الماضي، وذلك وفق منظور وعي الذات ورؤيتها لمجريات الأمور في تعاقبها الزمني، وتكون رؤية الذات في قبولها للحدث المرتبط باللحظة الزمنية تكشف عن حقيقة الوجود الإنساني، واستخدام "المعري" لأداة الاستفهام "أين" التي تعد من "الأساليب الإنشائية الطلبية، فهي استفهام بطلب حصول التصور، وتستعمل للسؤال عن المكان على أن هذا المعنى الحقيقي قد يتولد عنه معنى مجازي يكون للتوبيخ والتقريع والانكار بمعونة قرائن الأحوال"[١]، وهذا التصور يفتح الأفاق لرؤية وضع الإنسان

(١) السابق، ص٨٢.

(٢) مقدمة للشعر العربي/ أدونيس، ص٦١-٦٢.

(١) في سيمياء الشعر العربي القديم: دراسة نظرية وتطبيقية/ محمد مفتاح، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص٨٩.

والزمن الذي يعيش فيه، والأزمنة التى عاش فيها من قبله، حتى أن رؤية التعاقب الزمنى وسطوته جعلت "المعري" استخدم أسلوب الأمر في قوله "خفف الوطء" بغاية تقديم النصح والإرشاد، حيث أراد بصورة غير مباشرة الدعوة إلى التواضع وعدم التكبر، وهذا يشير إلى خضوع الوعى البشري لمسيرة الزمن الدائمة التى لا تخلو من مفارقات الحياة والموت، ويصور "المعري" وجه الأرض بالأديم وهو الجلد الذي تحلل من أجساد الأموات بفعل الزمن وأصبح جزءًا من التراب، فكأنه يوجه الإنسان بأن يترفق في سيره على الأرض، فهذه الأرض كلها من الأجساد، وهو يريد أن يضع فى ذهن الإنسان الحى أنه سيصبح في يوم من الأيام جزءًا من ذلك التراب، وعليه أن يعتبر ويتعظ، ويقول:

وَدَفِـــين عَلى بَقـــايا دَفـــينِ فِي طَويلِ الأزْمانِ وَالآبادِ
فاسْـــألِ الفَرْقَدَين عَمّـنْ أحَسّا مِنْ قَبيلٍ وآنسا من بلادِ
كـــمْ أقـامَا عـلى زَوالِ نَهـار وَأنارا لِمُدْلِجٍ في سَوَادِ
تَعَـبُ كُلّهـا الحَيـاةُ فَمـا أعْـ ـجَبُ إلاّ مِنْ راغبٍ في ازْديادِ
إنّ حُزْناً في ساعةِ المَوْتِ أضْعَا فُ سُرُور في ساعَةِ الميلادِ[1]

وترقى رؤية "المعري" للفناء والدعوة إلى زهد الحياة، بالتأمل فى الأزمنة المتعاقبة، فهو لا يفكر فى الزمن الماضى بوصفه لا يمثل الوجود، ولا ينظر إلى المستقبل لأنه غير معلوم، فقد أصبح "المعري" يحمل مأساة وجوده المحمولة على الزمن، والتى تتركز فى اللحظة الحاضرة المرتبطة بواقع "الإنسان الذي يكتنفه القلق ويتربص به الموت من كل جانب، لأن التفكير فى الغد يؤرقه ويقض عليه المضاجع"[1]، فالمأساة التى يعيشها "المعري" تفتح تأملا عميقًا للزمن يتعلق بفلسفة الذات الواعية التى تميل دائمًا إلى أن الحياة كلها شقاء ومتاعب وهي محطة عبور إلى عالم آخر،

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٨٢.

(١) الزمان في الفكر الإسلامي: "ابن سينا، الرازي الطبيب، المعري"/ إبراهيم العاتي، ص١٨٨.

فالحياة في نظر هذه الذات من دروب العظة والاعتبار، وهنا يقع التعجب من الذين يطلبونها ويتمنون البقاء فيها، ومشكلة الاتصال ليس فقط بالموجودات الحية بل بالمعاصرين السابقين واللاحقين، وهو يقر بوجود نوعين من الزمانية.

إن الشاعر يلجأ إلى التجنيس حينما يريد أن يعبر عن تجربة متجانسة متكررة خاضعة لوتيرة الزمن الدوري وجبروته[١]، فلحظات الزمن المتسارع التي تتكرر في أحداث متتالية يشعر من خلالها "المعري" بهروب العمر في المفارقة بين ساعة الموت وساعة الميلاد، فمع كل لحظة رثاء يتعمق لديه إحساس الفناء والعدم، وبذلك يتسرب منه العمر ويشعر بالمرور السريع للزمن في ظل تجدد الحياة في الذات البشرية مع تكريس قيمة الماضي في نفس الشاعر وحنينه للذكريات في النفس، بذلك يكون الزمن هو المسيطر على الوجدان ومعه يعيش الشاعر في قلق وتوتر لا ينتهي، ويقول:

ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْدَةٌ يُستريحُ الـ جِسْمُ فيها والعَيشُ مِثْلُ السّهادِ

أبَناتِ الهَديلِ أسْعِـــدْنَ أوْ عِدْ ـنَ قَليـــلَ الـعَـزاءِ بالإسْعَـــادِ[٢]

ويقول "شوقي ضيف" أن "المعري" انتهى إلى "تشبيه الحياة باليقظة، والموت بالنوم، وكأنه يفضل الموت على الحياة، فالعين ترتاح إلى النوم ولا ترتاح إلى السهد، بل تشقى به وتتعذب"[١]، والشاعر هنا يتكلم عن الموت والحياة وينظر إليها نظرة الفيلسوف الحكيم، ويبدو تشكيل الزمن في قصائد الرثاء حافلا بالماضي، ناظرًا إليه ومتخيلًا كل أحداثه في الندم على ما مضى، فيرثي "المعري" والدته بقصيدتين يعبر بها عن احتياجه الشديد إليها، وأنه لا يرى الدنيا إلا من خلالها، فيقول:

مضَتْ وكأنّي مُرْضَعٌ وقد ارْتَقَتْ بيَ السنُّ حتى شَكْلُ فَودَيّ أشْكالُ[٢]

(١) في سيمياء الشعر العربي القديم: دراسة نظرية وتطبيقية/ محمد مفتاح، ص٣٥.

(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص٨٢.

(١) الرثاء/ شوقي ضيف، ص١٠٥.

(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص١٣٣.

فعلى الرغم من تقدم "المعري" فى السن نجده فى شدة التعلق بأمه حتى أنه يحتاج إليها كأنه طفل رضيع لا يمكنه الاستغناء عنها، فطبيعة الاحتياج التى تتملكه جاءت نتيجة اعتماده على أمه فى شتى طرائق الحياة التى يرى فيها مصاعب لا يقوى على تحملها بدون وجود أمه إلى جانبه، ويقول:

مَضَتْ وقد اكتَهَلتُ فخِلتُ أنّى رَضِيعٌ ما بَلَغْتُ مَدى الفِطامِ[1]

إن تعبير الأسى في بيت القصيدة يعكس المدى الزمني الذي وجد فيه "المعري" أمه قد تقدمت فى السن دون أن يشعر، فالزمن يمضى دون أن يدري، وتخيل نفسه فى براءة الطفولة رضيعًا يحتاج إليها لتمده بغايته فى الحياة، فكانت الفاجعة التى رأها فى موتها، وجاءت المسافة الزمنية بين طفولته وموت أمه تستدعى الذكريات التى تؤثر فى وجدانه، وجاء شعوره متصلًا بالزمن الذي جعله يربط بين الاحتياج والفقد، وكانت الصدمة فى مخيلته عندما ربط بين الرجوع والمُضي بالزمن، فعندما مضى الزمن رأه في موت من كانت تحنو عليه، أما فى الرجوع الزمنى رأى الذكريات المليئة بكل دواعى الحب التى لا يمكن معها الاستغناء عن أمه التى ارتبط بها، فكانت طفولته هى الفترة الزمنية العالقة فى ذهنه، والتى تأثر بها وعبر من خلالها عن احتياجه الشديد لأمه حتى وإن أصابها الاكتهال.

والفارق بين صورة الشباب والمشيب يعبر عن أن الزمن القوة الفاعلة فى التغيرت التى تلحق بالإنسان والمخلوقات من حوله، وأن العدم شرط للوجود العينى، وهو الأصل فى كل نفى نقوم به داخل الوجود، فالشعور بالحاضر لا يتم إلا فى حالة القلق، وهذا يرتبط بالشعور بطول الزمن فى حالة القلق والخوف، على عكس الشعور بالأمان يبدو فيه الزمن قصيرًا ويمر بصورة أسرع[1]، وهذا ما عبر به "المعري" في صور شتى، فيقول:

قَدمَاهُ وَرَاءَهُ وهْوَ في العَجْـ ـزِ كساعٍ ليستْ له قدَمانِ

(١) السابق، ص١١٥.

(١) الزمان الوجودي/ عبد الرحمن بدوي، ص١٧٣-١٧٤.

ثُمّ شابَ الدّجى وخافَ من الهجْـ ـرِ فغَطّى المَشيبَ بالزّعفرانِ
ونضـا فجْـرُهُ على نَسْـرِهِ الـ ـواقِـعِ سيْفـاً فهَـمّ بالطّيَرانِ[١]

يرسم "المعري" الزمن فى صورة التحولات التى يسير وفق مقتضاها الإنسان دون أن يدري، فالزمن يدور فى سياق التغيرات التى نراها فى "الدجى" ومرادفه الظلام الذي ظل يرافق "المعري" طيلة حياته، فكانت كلماته تعكس الهواجس النفسية والخوف المستمر من الزمن وتقلباته، فعاش شبابه في ظلام دائم، ما جعله يفكر دائمًا بعجزه وقيوده التي لا تفارقه، فكانت المتناقضات التى تعكس طبيعة الزمن فعندما يشيب الدجى نرى ظهور اللون الأبيض بصورة اليوم الجديد، واستمرار الزمن يحيل إلى التغيرات التى تحدثها الطبيعة الكونية التى نراها فى مُضى الليل وحلول النهار، تلك الصورة توازي ما يحدث من انقضاء العمر وتحول الإنسان من الشباب إلى المشيب، تلك المفارقة التى تعكس حركة الزمن المستمرة وعجز الإنسان الدائم أمام سطوة الزمن الطاغية، ويقول:

وَأَطْرَبَنِي الشَّبَـابُ غَدَاةَ وَلَّى فَلَيْتَ سِنِيهِ صَـوْتٌ يُسْتَعَادُ
وَلَيْسَ صِبًا يُفَادُ وَرَاءَ شَيْبٍ بِأَعْوَزَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ يُفَادُ[١]

يصور "المعري" الزمن من خلال وضع المقارنة بين ماضى الشباب والصبا ومستقبل الشيب، فيرسم صورة رحيل الشباب وقدوم المشيب، وهو بذلك يؤكد على استحالة عودة الماضي المتجسد في صورة الشباب، ويقـول:

وعيشَتي الشّبابُ وليسَ منها صِبايَ ولا ذَوائِبيَ الهجانُ
وكالنّـار الحَيَـاةُ فمِنْ رَمادٍ أواخِرُهَا وأوّلُهـا دُخـانُ[٢]

تتشكل مراحل حياة الإنسان فى الدنيا بصور حسية تعكس أن كل شيء في ذلك الوجود يسير وفق بداية ونهاية محددة، فحياة الإنسان كالنار

(١) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص ٣٥.
(١) السابق، ص ٢٤.
(٢) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، ص ١٥-١٦.

التي تبدأ بالدخان حتى تشتعل وتنتهى بالرماد، كذلك الإنسان يبدأ حياته طفلًا لا يدرك ولا يعرف الأشياء من حوله، ويصير في شبابه حتى تنتهي حياته بالشيخوخة، فصورة النار توازي صورة الإنسان، فحركة الزمن بين بداية النار بالدخان ونهايتها بالرماد تجسد أثر الزمن وتأثيره على الإنسان منذ بداية ميلاده وطفولته مرورًا بفترة شبابه وقوتها حتى نهايتها بالانكسار والشيخوخة، فحياة الإنسان تمثل فترة زمنية قصيرة تشهد مجموعة من المتغيرات التي تعبر عن المداولة التي يتجسد من خلالها الوجود الإنساني على مر العصور والأزمنة، ويقول:

مَضَى زَمَنٌ وَالْعِزُّ بَانَ رِوَاقُهُ عَلَيْهِ وَسَيْفُ الدَّهْرِ عَنْهُ كَهَامُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا دَوْلَةٌ ثُمَّ صَوْلَةٌ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا صِحَّةٌ وَسَقَامُ
زَمَانَ قَرَوْا بِالْمَشْرَفِيِّ ضُيُوفَهُمْ مَآلِكَ قَوْمٍ وَالْكُمَاةُ صِيَامُ
وَلَوْ دَامَتِ الدَّوْلَاتُ كَانُوا كَغَيْرِهِمْ رَعَايَا وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامُ[1]

ويطرح "المعري" في الأبيات السابقة أنه لا أمان مطلق للزمن فطبيعته متغيرة لا يمكن أن تستقر على حال، فإذا كان الإنسان يغتر بسلطته فى الدنيا، فتلك السلطة واهية وخادعة، فلا عز يدوم ولا سلطة تدوم فالكل إلى زوال، وبذلك يقر "المعري" سلطة الزمن التي تعلو على كل وجود إنسانى، فالدهر له "دولة ثم صولة، وعزة ثم ذلة"[1] فأحداث الزمن متقلبة ومتغيرة فنراها تحكم العلاقات بين مختلف الطبقات الاجتماعية في المجتمع، وقد جاءت الأبيات لتوضح أن الفترة التى يعيشها "المعري" تشهد تغيرات على المستوى السياسى والاجتماعى، وهذا ما دفعه إلى طرح رؤيته عن مداولة الزمن التى تعبر عن عجز الإنسان وضعفه، فلا عجب من أن تمر الأيام ويشهد الإنسان فى حياته سعة وضيقًا، ويسرًا وعسرًا، وعزًا وذلًا، وانتصارًا وهزيمة، ويقول تعالى: ((وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ))[2].

(١) السابق، ص٤٨.

(١) شروح سقط الزند/ مصطفي السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ص٦١١.

(٢) سورة آل عمران: أية ١٤٠.

فالتداول سنة من سنن الله تعالى فى الكون، وهذا ما يعكس عمق المعنى الذي يطرحه "المعري" وحسن طالعه وتدبره في الزمن، وكشف التباين فى مقتضى الأحوال التى يمر بها الإنسان، وهذا ما يحمله السياق من دلالات زمنية تكشف عن أن النص الشعري يعبر عن حاضر يرتبط بماضى يؤول فى رؤيته إلى استشراف المستقبل، فتلك الصورة متكررة بحكم أن الزمن يحمل فى طياته تناقضات الحياة وتقلبها، فكل عصر وان طالت دروبه فإنه إلى زوال، وبذلك تبدو سطوة الزمن هي الحقيقة الثابتة التي يلزم للإنسان الوعي بها وتيسير أموره وفق مقتضاها.

الخـــاتمة

فـي النهايـة توصـل البحـث إلـى مجموعـة مـن النتـائج التـي يمكـن تلخيصها فى التالى:

أ- كشـفت الدراسـة التداوليـة للـزمن فـى ديـوان "سـقط الزنـد" مـا يتمتـع بـه "المعري" من عقلية واعية، حيث اعتمد بنية تكوينية لغوية وأسلوبية خدمت النص الشعري رؤية ولغة ودلالة وإقناع للمتلقي في سياق مرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل.

ب- التداوليـة معطـى هـام فـى تحليـل الخطـاب الشـعري والـزمن، فكانـت الإشاريات التى استندت عليها الدراسة تساعد المتلقى فى الكشف عن دلالات الـزمن وتحولاتـه مـن خـلال شخصـية "المعـري" وديوانـه "سـقط الزند".

ج- ساهم البحث فى الكشف عن دلالات رؤية الزمن في النص الشعري من خـلال التعرف علـى المفردات والعبـارات التـى يوجههـا الشـاعر للمتلقـى، وأن الـنص الشـعري بمثابـة وسـيلة تعبـر عـن أفكـار الشـاعر وتجاربـه ومواقفـه، وهذا مـا يجعل القصـيدة تتشكل فـى سياق يعبر عن محتواها الفكري الذي يقرب للمتلقى فهمها والوقوف علـى دلالتها، وهذا مـا يجعل السياق من المرتكزات التى تمكن المتلقى من فهم النص.

د- يتحقق التواصل مع زمن ما من خلال توافر مجموعة من الأسس أهمها كشف الغموض اللغوي الذي يمكن أن يحتوي النص المعبر عن الزمن الذي طالعه كاتب النص، مما يسهم فى إدراك المتلقى للنص الشعري، وقد تبدو آليات إزالة هذا الغموض فى التعرف علـى الأغراض التـى يتشكل بها النص الشعري، وما يتبعها من طرح رؤية "المعري" للزمن والتي ترتكز علي علته وأزماته النفسية وعلاقاته التي تربطه بالآخرين.

المصادر والمـراجــع

(١) الأدب العربـى فـي العصـر العباسـي/ نـاظم رشـيد، العـراق: دار الكتـب للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
(٢) استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر/ علي عشري زايد، ط١، القاهرة: دار الفكر العربى للنشر، ١٩٩٧م.
(٣) اسـتراتيجيات الخطـاب: مقاربـة لغويـة تداوليـة/ عبـد الهـادي بـن ظـافر الشهري، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.
(٤) أمـراء الشـعر العربـى فـى العصـر العباسـي/ أنـيس المقدسـي، ط١٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.
(٥) اِنبـاهُ الـرواة علـى أنبـاهِ النحـاة . ج١/ الـوزير جمـال الـدين أبـى الحسـن علـى بـن يوسـف القفطـى؛ تحقيـق محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم، ط١، القاهرة: دار الفكر العربى، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م.
(٦) بلاغة الخطاب وعلم النص/ صلاح فضل، ط١، القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبنانى، ٢٠٠٤م.
(٧) بنيـة العقـل العربـى: دراسـة تحليليـة نقديـة لـنظم المعرفـة فـى الثقافـة العربيـة/ محمـد عابـد الجـابري، ط٩، بيـروت: مركـز دراسـات الوحـدة العربية، ٢٠٠٩م.
(٨) تـداوليات الخطـاب وضـوابط الروايـة والتلقـي/ محـروس محمـد إبـراهيم علـى، مجلة علوم اللغة، مج ١٠، ع١، ٢٠٠٧م.
(٩) تعريف القدماء بأبى العلاء: آثار أبـى العـلاء المعري/ تحقيق مصـطفى السـقا وأخـرون، إشـراف وتقـديم، طـه حسـين، القـاهرة: الـدار القوميـة للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.
(١٠) التفسـير النفسـي لـلأدب/ عـز الـدين اسـماعيل، ط٤، القـاهرة: مكتبـة غريب، [١٩٩٠م].
(١١) الجـامع فـى أخبـار أبـى العـلاء المعري وآثـاره/ محمـد سـليم الجنـدي؛ أشـراف عبـدالهادي هاشـم، ج١، سـوريا: مطبوعـات المجمـع العلمـي العربي بدمشق، ١٩٦٢م.

(١٢) الحياة الأدبية فى العصر العباسى/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة، ١٩٥٤م.
(١٣) الخطاب والقارئ: نظرية التلقى وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة/ حامد حامد يوسف أبو أحمد، القاهرة: النسر الذهبى، [د.ت].
(١٤) الدلالة المرئية/ على جعفر العلاق، مقال منشور مجلة فصول، مج١٥، ع٣، خريف ١٩٩٦م، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(١٥) ديوان سقط الزند/ أبي العلاء المعري، القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٠١م – ١٣١٩هـ.
(١٦) الرثاء/ شوقى ضيف، ط٤، القاهرة: دار المعارف، [١٩٨٧م]، (فنون الأدب العربى: الفن الغنائى؛٢).
(١٧) الرؤية الفلسفية لسلطة الزمن فى شعر المعري: قراءة تأويلية/ سالم عبد النبي جابر العقابي، مقال منشور بحولية المنتدى للدراسات الإنسانية "المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة"، ع١٤، ٢٠١٨م، العراق.
(١٨) الزمان أبعاده وبنيته/ عبد اللطيف الصديقى، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
(١٩) الزمان الدلالي: دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية/ كريم زكى حسام الدين، ط٢ مزيدة ومنقحة، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.
(٢٠) الزمان فى الفكر الإسلامى: "ابن سينا، الرازي الطبيب، المعري"/ إبراهيم العاتى، ط١، بيروت: دار المنتخب العربى للدراسات والنشر والتوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.
(٢١) الزمان الوجودي/ عبد الرحمن بدوي، ط٣، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣م.
(٢٢) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب/ إميل توفيق، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢٣) الزمن فى شعر السياب/ عبد الرحيم الكردي، ع١٦، مجلة سرديات، القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات السردية، سبتمبر ٢٠١٥م.
(٢٤) سقط الزند لأبى العلاء المعري/ أحمد إبراهيم الشريف، مجلة تراث الإنسانية، مج٢، ع١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤م.
(٢٥) سورة آل عمران: أية ١٤٠.
(٢٦) سورة يوسف الأية ١٨.
(٢٧) السياق والنص الشعرى من البنية إلى القراءة/ على آيت أوشان، ط١، المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
(٢٨) شروح سقط الزند/ مصطفى السقا، وآخرون؛ إشراف طه حسين، ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
(٢٩) فى سيمياء الشعر العربى القديم: دراسة نظرية وتطبيقية/ محمد مفتاح، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
(٣٠) قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر/ عائشة عبد الرحمن، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م.
(٣١) مع المعري اللغوي/ إبراهيم السامرائي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
(٣٢) مفهوم الشعر: دراسة فى التراث النقدي/ جابر عصفور، ط١، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبنانى، ٢٠٠٣م.
(٣٣) المقاربة التداولية/ فرانسواز أرمينيكو؛ ترجمة سعيد علوش، المغرب: مركز الإنماء القومى، ١٩٨٦م.
(٣٤) مقدمة للشعر العربى/ أدونيس، ط٣، بيروت: دار العودة، ١٩٧٩م.
(٣٥) النظرية البرامجاتية اللسانية (التداولية): دراسة فى المفاهيم والنشأة والمبادىء/ محمود عكاشة، ط١/ القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٣م.
(٣٦) النظرية الخلقية عند أبى العلاء المعري بين الفلسفة والدين/ سناء خضر، ط١، الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.

References :

(1) al'adab alearabiu fi aleasr aleabaasi/ nazim rashida, aleiraqi: dar alkutub liltibaeat walnashri, 1989m.
(2) aistidea' alshakhsiaat alturathiat fi alshier alearabii almueasiri/ eali eishri zayid, ta1, alqahirata: dar alfikr alearabii lilnashri, 1997m.
(3) astiratijiaat alkhatabi: muqarabat lughawiat tadawuliati/ eabd alhadi bin zafir alshahri, ta1, bayrut: dar alkitab aljadid almutahidati, 2004m.
(4) 'umara' alshier alearabii fi aleasr aleabaasi/ 'anis almaqdisi, ta17, bayrut: dar aleilm lilmalayini, 1989m.
(5) ainbah alruwaat ealaa anbah alnuhaa . ji1/ alwazir jamal aldiyn 'abi alhasan eali bin yusif alqafti; tahqiq muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, ta1, alqahirata: dar alfikr alearabi, bayrut: muasasat alkutub althaqafiati, 1986m.
(6) balaghat alkhitab waeilm alnas/ salah fadal, ta1, alqahirata: dar alkitaab almisrii; bayrut: dar alkitaab allubnani, 2004m.
(7) binyat aleaql alearabii: dirasat tahliliat naqdiat linuzum almaerifat fi althaqafat alearabiati/ muhamad eabid aljabri, ta9, bayrut: markaz dirasat alwahdat alearabiati, 2009m.
(8) tadawuliaat alkhitab wadawabit alriwayat waltalqi/ mahrus muhamad 'iibrahim ealay, majalat eulum allughati, maj 10, ea1, 2007m.
(9) taerif alqudama' bi'abi aleala': athar 'abi aleala' almaeari/ tahqiq mustafi alsaqa wa'akhrun, 'iishraf wataqdimu, tah husayn, alqahirati: aldaar alqawmiat liltibaeat walnashri, 1384h-1965m.
(10) altafsir alnafsiu lil'adaba/ eizi aldiyn asmaeil, ta4, alqahirata: maktabat ghirib, [1990ma].
(11) aljamie fi 'akhbar 'abi aleala' almaeariyi watharuhu/ muhamad salim aljundi; 'ashraf eabdalhadi hashim, ja1, suria: matbueat almajmae aleilmii alearabii bidimashqa, 1962m.
(12) alhayaat al'adabiat fi aleasr aleabaasi/ muhamad eabd almuneim khafaji, ta1, alqahirata: dar aleahd aljadid liltibaeati, 1954m.
(13) alkhitab walqariu: nazariat altalaqiy watahlil alkhitab wama baed alhadathati/ hamid hamid yusif 'abu 'ahmadu, alqahiratu: alnasr aldhahabi, [da.t].

(14) aldilalat almaryiyatu/ eali jaefar alealaqi, maqal manshur majalat fusula, mij15, ea3, kharif 1996ma, alqahirati: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi.
(15) diwan saqat alzanda/ 'abi aleala' almaeri, alqahirati: matbaeat hindiatun, 1901m - 1319h.
(16) alritha'i/ shawqi dayfa, ta4, alqahirata: dar almaearifi, [1987ma], (fnun al'adab alearabii: alfani alghinayiyi;2).
(17) alruwyat alfalsafiat lisultat alzaman fi shier almaeri: qira'at tawiliata/ salim eabd alnabi jabir aleaqabi, maqal manshur bihawliat almuntadaa lildirasat al'iinsania "almuntadaa alwatanii li'abhath alfikr walthaqafati", ea14, 2018ma, aleiraq.
(18) alzaman 'abeaduh wabinyatuhu/ eabd allatif alsidiyqi, ta1, bayrut: almuasasat aljamieiat lildirasat walnashr waltawziei, 1995m.
(19) alzaman aldalali: dirasat lughawiat limafhum alzaman wa'alfazih fi althaqafat alearabiati/ karim zaki husam aldiyn, ta2 mazidat wamunaqahati, alqahirata: dar gharib liltibaeat walnashri, 2003m.
(20) alzaman fi alfikr al'iislamii: "abn sina, alraazi altabib, almieri"/ 'iibrahim aleati, ta1, bayrut: dar almuntakhab alearabii lildirasat walnashr waltawziei, almuasasat aljamieiat lildirasat walnashri, 1993m.
(21) alzaman alwujudi/ eabd alrahman bidwi, ta3, bayrut: dar althaqafati, 1973m.
(22) alzaman bayn aleilm walfalsafat wal'adabi/ 'iimil tawfiqa, ta1, alqahirata: dar alshuruq, 1402h-1982m.
(23) alzaman fi shier alsayab/ eabd alrahim alkurdi, ea16, majalat sardiaati, alqahirati: aljameiat almisriat lildirasat alsardiat, sibtambar 2015m.
(24) saqat alzand li'abi aleala' almaeari/ 'ahmad 'iibrahim alsharif, majalat turath al'iinsaniati, mij2, ea1, alqahirati: alhayyat almisriat aleamat liltaalif walnashri, 1964m.
(25) surat al eimran: 'ayat 140.
(26) surat yusuf al'ayat 18.
(27) alsiyaq walnasu alshieraa min albinyat 'iilaa alqira'ati/ ealaa ayit 'uwshan, ta1, almaghribi: dar althaqafat lilnashr waltawzie, 2000m.
(28) shuruh saqat alzanda/ mustafi alsuqaa, wakhrun; 'iishraf tah husayn, ta3, alqahirati: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1986m.

(29) fi simya' alshier alearabii alqadimi: dirasat nazariat watatbiqiata/ muhamad miftahi, aldaar albayda'a: dar althaqafat lilnashr waltawzie, 1989m.
(30) qiam jadidat lil'adab alearabii alqadim walmueasiri/ eayishat eabd alrahman, ta2, alqahirata: dar almaearifi, 1992m.
(31) mae almaeariy allughwi/ 'iibrahim alsaamaraayiy, ta1, bayrut: muasasat alrisalati, 1404h-1984m.
(32) mafhum alshaera: dirasat fi alturath alnaqdii/ jabir eusfura, ta1, alqahirata: dar alkitaab almisrii, bayrut: dar alkitaab allubnani, 2003m.
(33) almuqarabat altadawuliatu/ fransuaz 'arminiku; tarjamat saeid ealush, almaghribi: markaz al'iinma' alqawmii, 1986m.
(34) muqadimat lilshier alearabii/ 'adunis, ta3, bayrut: dar aleawdati, 1979m.
(35) alnazariat albaramijatiat allisania (altadawuliatu): dirasat fi almafahim walnash'at walmubadia'i/ mahmud eakashata, ta1/ alqahirati: maktabat aladab, 2013m.
(36) alnazariat alkhuluqiat eind 'abi aleala' almaeariyi bayn alfalsafat waldiyn/ sana' khadar, ta1, aliaskandariata: dar alwafa' liltibaeat walnashri, 1999m.

فهرس محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٣٣١
تمهيد	٢٣٣٤
المبحث الأول: أبي العلاء المعري وديوانه سقط الزند. **أولًا:** المعري حياته ونشأته. **ثانيًا:** ديوان سقط الزند.	٢٣٤٠
المبحث الثاني: الزمن بين الوجود الكوني والذات الشاعرة. **أولًا:** الزمن والوجود الكوني. **ثانيًا:** الزمن والذات الشاعرة .	٢٣٤٣
المبحث الثالث : الزمن وأثره في السياق النصي. **أولًا:** الدهر ودلالته الشعرية. **ثانيًا:** الاسترجاع الزمني ورؤية الحاضر. **ثالثًا:** تحولات الزمن.	٢٣٥٥
الخاتمة	٢٣٧٥
المصادر والمراجع	٢٣٧٦
فهرس محتويات البحث	٢٣٨٢